كتــاب " أنا الفقير اليك "

شريف محمد شحاتة

(شارات البدء)
" فـادخلــي فــى عبــادى وادخــلــى جنتــــــى "
****

أنا الفقير إلى رب السمـاوات   أنـــا المسكين فى جميـــع حـــالاتـــى
أنا الظلـوم لنفسى وهى ظـالمـتى   والخير إن جـــاءنا من عنـــده يـأتى
لا أستطيع لنفسى جلــــب منفعـة   ولا عـــن النفـس فى دفع المضرات
وليس لـى دونه مـــولا يدبـرنى   ولا شفيـــع إلـــى رب البريـات
إلا بـإذن من الـرحمن خالقنـــا   ولست أملك شيئـا دونـه أبـــــدا
والفقـر لى وصف ذات لازم أبـدا   كمـا أن الغنى أبـــدا وصــف له ذاتى
وهذه الحال حـــال الخلق أجمعهـم   وكلهـــم عنــده عبـــــد له آتـى
فمن بغى مطلبـا من دون خـالقه   فهـو الجهـول المتكـــبر العـــاتى

****

الإهــداء

حين.. تسلك كل الطرق فتراها قد سدت .. وتطرق الأبواب كلها فتلمحت قد غلقت .. فتتلمس جوانب نفسك وخبايا سريرتك .. فتُحس بمرارة الذل تعلقم حلقك .. وقيود العجز تُحطم كيانك .. فتضيق عليك الأرض بما رحبت ..

حين .. تُلم بك النوازل .. وتُداهمك المصائب .. وتُنازلك الخطوب .. وتحف بك المكاره .. فيتجافى عنك الإخوان .. وينحدر منسوب الإيمان .. ويُعرض القريب .. ويهجرك الحبيب .. فيشمت العدو ..وتضعف الثقــة .. فيقســو القلب .. وتيأس الروح ..

حــين .. يشتد عليك الكرب .. ويثقل على كاهلك الحمل .. أو يصارعك المرض .. أو يرهقك دين .. أو يحل بك فقر .. أو يؤرق نومتك بلاء.. فتتعثر بك الحاجة .. وتلهث تشكو الفاقة .. فيتأخر المدد .. ويبطيء نحوك الفرج .. وتمل من الحياة ..

أخى .. أختاه

أناديك .. هل تسمعنى ؟! **أناشدك** .. هل ترانى ؟!

حتى أُثلج صدرك .. وأهدأ روعك .. وأقول لك :

لا تحزن الله معك

يكفيك من كل ما أهمك .. يحفظك فى الأزمات .. يرعاك فى الملمات .. يحميك فى المدلهمات .. يعطيك إذا سألت .. يغفر ا إذا استغفرت .. يزيدك إذا شكرت .. يعفو إذا بكيت .. يبارك إذا حمدت .. يقبل إذا خشعت ..

يمنحك العز بلا عشيرة والغنى بلا مال

فاصدح فى الآفاق .. وناجى بالاهات

إلهى : أنا الفقيرإليك فى غناه .. فكيف لا أكون فقيرا فى فقرى ؟

إلهى : كيف أخيب وأنت أملى ؟ وكيف أهان وعليك توكلى ؟

إلهى : بك أستنصر فانصرنى .. وإياك أسال فلا تخيبنى .. وببابك أقف فى تطردنى

اخــــوتاه

كل دموع الناس لا تبل ظمأ القلب القاسى ولو انحدرت كالسيل

عجباً .. لمن هو حاضرالذهن فى الدنيا فإذا جاء الدين تعكر

هيا .. فاتح عقلك وأحضر قلبك لحظات وتفكر

واعترف رسمياً

" **أنا الفقير اليك** "

هيا بنا اذن

شريف ؛..

على عتبـــة البـــــاب

الحمد لله الذى عز جلاله فلا تدركه الأفهام وسما كماله فلا يحيط به الأوهام .. لا يحيط به فكر ولا يحده حصر ولا يحويه نظر .. سبحانه شرح صدورنا لعبوديته ومن أبى جرت الأقلام بشقاوته .. فسبحان من منح ومنع ووصل وقطع وفرق وجمع .. وأصلى على الحبيب (ص) عدد قطرات الأمطار وعدد أوراق الأشجار وعدد ما تعاقب عليه الليل وأشرق عليه النهار .. وعلى آله وصحبه الكرام وسلم تسليمًا كثيرًا .. صلوا عليه وسلموا تسليمًا ..

أما قبــل

فيا أحباب رسول الله :

صرفت وجه الحديث فى موضوع أسميته " أنـــا الفقـــــــــــــــير إلـــيك ".. لأنك حين تطل برأسك إطلالة واعية ترى العبادات صارت روتينيات وانقلبت إلى عادات فغفل الكثيرون عن فهمها وتاهوا عن حقيقتها.. وكثرت نزاعات النفس ومنادات الشيطان وهواتف المادية الطاغية فيحتار العقل ويختل الفكر ويشوش جهاز استقباله ..

فيهز أرجائه صوت الحق :

" **ألم أعهد إليكم يا بنى ادم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم** " ..

وهذا ما دعا **أبو على الدقاق** ليصرح " أنت عبد من أنت فى رقه وأسره فإن كنت فى أسر نفسك فأنت عبد نفسك ؛ وإن كنت فى أسر دنياك فأنت عبد دنياك " (الرسالة القشيرية – الامام القشيرى)

.. فأي العباد أنت ؟!

وهنا تتبدى حقيقة كالشمس ساطعة فى بؤرة السماء .. **أنت** .. **نعم أنت** .. سلها عبد لمن ؟ عبد لشهوتي .. عبد لمنصبي .. عبد لأموالي .. عبد لزوجتي .. عبد لممتلكاتي .. عبد لفتاه أحبها .. عبد لمعصية عشقتها .. فيتوه القلب عن الدرب ويفقد حاسة إبصاره وحين يسأل إلى متى هذا العمى ؟ فيكون الجواب :

" إلى أن تقع بالطبيب وتتوسد بعتبته وتحسن ظنك فيه وتزيل من قلبك التهمه له وتأخذ نفسك وتقعد على بابه وتصبر على مرارة دوائه فحينئذ يزول العمى من عينيك .. ذل لله عز وجل وأنزل حوائجك به ولا تعد لنفسك عملا وألقه على قدم الإفلاس .. أغلق أبواب الخلق وافتح الباب بينك وبينه واعترف بذنوبك واعتذر إليه من تقصيرك وتيقن أنه لا ضار ولا نافع ولا معطى ولا مانع إلا هو .. فحينئذ يزول عمى عين قلبك ويحرك البصر والبصيرة " (الفتح الربانى – عبد القادر الجيلانى /١٥) ..

فشتان شتان بين حياة وحياة واهتمام واهتمام !! مع اتحاد النتيجة بالقياس إلى العمر والأجل .. " والذى يعيش يريد ثواب الدنيا وحدها .. إنما يحيا حياة الديدان والدواب والأنعام !! ثم يموت فى موعده المضروب بأجله المكتوب .. والذى يتطلع إلى الأفق الآخر إنما يحيا حياة الإنسان الذى كرمه الله واستخلفه وأفرده بهذا المكان ثم يموت فى موعده المضروب بأجله المكتوب " وما كان النفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا " (فى ظلال القرآن – سيد قطب)..

يا سادة ..

لقد غلب على القلوب الهوى فتملكها ؟.. واستحوذ على النفوس الكبر والإعجاب فأهلكها .. فلا الواعظ يشفى عليلا ولا الإنذار يجد إلى القلوب سبيلا.. وقد علمنا أن وراءنا يوما ثقيلا ..

فيا عجبا من غفلة مطلوب لابد من إدراكه .. وتمادى مغتر لا ريب فى هلاكه ..

ألا أذن تسمع ؟

ألا عين تدمع ؟

ألا نفس تفزع ؟

وليست عبادة الذل والانكسار عبادة للإشهار أو للإشارة بالبنان فتتوهم نفسك فى انكسار رقبتك أو انحناء ظهرك أو تجر أذيال المسكنة خلفك أو تأط عند الكلام رأسك .. أو أن تغمض عينك .. لا والذي نفسك بيده إنها

انكسار القلب لا انكسار البدن ..

سجود القلب لا سجود الرقبة ..

وتواضعًا مع العباد ابتغاءاً للثواب..

فهذا العبد سعيد بربه .. ترنو إليه بصيرته .. وتتحدد عنده وجهته .. فمهما لطمته الحياة الضالة أو اعترضه العوج الشائع .. فهو فى بيئة صالحة انهزم فيها جند الشيطان واستقر فى جنباتها عسكر الحق وتجاوبت فى أصدائها الذلة والتسبيح .. الشكر والحمد .. السجود والخضوع .. البكاء والخشوع .. فينبلج قلبه سراجاً منيراً يرمى بأشعته فى كل أفق ويجمع نفسه على المشاعر الربانية الجياشة .. فيبقى مراح الأعصاب .. لطيف الأنفاس ..

" وأولئك هم المؤمنون حقا "

أما بعد ..

أقدم لك هذا الكتاب

وهو يقول لك :

أجلس قلبك على كرسيه وشد رحاله إلى العبودية .. واحصد سنابل المعية " أنا عند المنكسرة قلوبهم " فجد فى السير وألح فى الطلب .. حتى يرضى الرب ويشفع الحبيب وننل القبول ..

هذا الكتاب ينادى :

كل من كدحه فى طلب العيش منقطع النظير وجهاده للحصول على اللقمة والمال يضرب به الأمثال ..

كل من سعيه حثيثا فى إحراز الشهوات ومصاحبة الغافلين الأموات ..

كل من أطغاه كبره وأخذه عجبه عن تحقيق مسكنته وذلته

كل من ضلت طريق الهداية وسلكت طريق الغواية وكان الشيطان لها صاحبا واتباع التقليد لها مؤنسا

كل أب تهدمت أخلاق بيته .. وكل أم تنحت عن واجبها .. وكل شاب لم يدرك ما خلق له ..

أفيقوا .. أفيقوا .. أفيقوا ..

إن أرواحنا جائعة لزادها .. وقلوبنا مشتاقة لانكسارها على عتبة ربها..

يا اختنا .. يا أخانا :

لا تكن الأعذار حاضرة والحجج مستوطنه للدفاع عن نفسك إذا لامك أحد على خمودك وتأخرك .. أو عاتبك على عجبك وتكبرك .. وتنصب اللافتة " **شغلتنا أموالنا وأهلونا** " .. تلك هى الأعذار الواهية ..والحجج الداحضة .. والقلوب الميتة .. والعزائم الخاوية .. فماذا يقال لمن هذا فعله ؟ وبماذا يفسر من هذا وصفه ؟

هذا الكتاب :

يناشد الجميع .. لو حملت همة عالية لارتحلت بك قبل الفجر وهبطت بوادى الفلاح .. وكتب لك النجاح .. وتزينت حياتك بالصلاح..فانكسر لمولاك واهجر دنياك وعلق الشعار الثمين (**أنا الفقير إليك**)..

هذا الكتاب :

ينادى : أيها الفقير لازم باب مولاك الكريم وتعزز بالمولى العزيز العليم ..توسل إليه بطاعته يتفضل عليك بنعمته .. إن أطعته أكرمك وفضلك .. وإن ضيعت ما مضى فسيرحمك ويمهلك .. وإن تبت وأنبت شكر .. وإن عصيت وأسأت ستر ..

فكيف يصبر عن قربه من وجد طعم عبوديته وحبه ؟
أم كيف لا ينقطع إليه من وجد التذلل بين يديه ؟

هذا الكتاب :

يلقي علي قلبك قميص **يوسف** عساه يرتد بصيرا فيحقق فيك كلمة عبد حتى تصل إلى ما وصفه الإمام الغزالي " صار لسيده ومولاه إن حركه تحرك وإن سكنه سكن وإن ابتلاه رضي .. لم يبق فيه متسع لطلب أو التماس أو اعتراض بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي المغسل وهذا منتهى الصدق في العبودية " (الإحياء /٥ / ٣٨٨)
وهذا هدفنا ..

أحباب رسول الله ..

إنه الله العزيز .. لم تحيا القلوب إلا بنسيم إقباله .. ولم تنفطر الدموع إلا من خوف هجره أو طمع فى وصاله .. هدى قلوب الغافلين إلى الدنيا فعمروها وهدى قلوب العابدين إلى طلب العقبى فكابدوها وهدى قلوب الزاهدين إلى فناء الدنيا فرفضوها وصدق **أبو بكر** حين أعلنها " والله ما أوحش الطريق لمن لم يكن الله مؤنسه .. وما أضل الطريق لمن لم يكن الله دليله " (سير أعلام النبلاء – الذهبى)

هذا الكتاب يشدو :

أشهروا إفلاسكم .. تذللوا لخالقكم .. انكسروا لحبيبكم .. اشكروا رازقكم .. احمدوا واهبكم .. اسجدوا لربكم .. اخضعوا لعظيمكم ..

هذا الكتاب يردد بحماس :

ما هتف به **محمد بن الحنفية** " إن أبدانكم ليس لها أثمان إلا الجنة ؛ فلا تبيعوها إلا بها " (حلية الاولياء – الاصفهانى :٣ / ١٧٧)

وأقرع لأبواب السماء

" اللهم اجعل فى قلوبنا نورا نهتدى به إليك .. وتولنا بحسن رعايتك حتى نتوكل عليك ..

وارزقنا حلاوة التذلل بين يديك ..

ربى : العزيز من لاذ بعزك والسعيد من التجأ إلى حماك وجودك .. والذليل من لم تؤيده عنايتك والشقى من رضى بالإعراض عن طاعتك ..

والحكم حكمك فما تغنى الحيل ..

اللهم اشف بكلماتى القلوب القاسية واستجمع بحروفى الأبدان التائهة

والتقط بعباراتى الأرواح الشاردة وأذب بسطورى العيون الجامدة ..

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن هو دونك واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك ..

فهيا نطرق الباب ..

وإذا سُئلت : من ؟!

فقل بصوت حزين .. وقلب ذليل

" **أنا الفقير اليك** "

هيا بنا إذن

أخوكم

الملتمس رضاء به

شريف محمد شحاتة

الزيارة الاولى :

<u>إلا ليعبدون .. ومدرسة الحبيب(ص)</u>

<u>ضربة البداية</u>

رب إنسان لا يدرى لماذا خلق ؟!..

ولا يعلم لماذا وجد ؟!..

فلا يدرى ما يطلب فى حياته ..

دوليس له غاية من حركاته وسكناته ..

لذا أبصر وجهتك .. واطلب غايتك ..

وأعلى رايتك .. وانصر مبدأك ..

واعلم رسالتك .. وتيقن أنه لا مفر !!

" لا مفر للخلق من العبودية

وأنى لهم المفر والسماء فوقهم والشرائع تحت السماء ..

وويل للإنسان الذى لا يكتفى بالله فى سمائه حتى يستعبد لصفاته فى أهل الأرض " (حديث القمر للرافعى /٢٨)

<u>** هلا استجبتم ؟!</u>

انتباه

يوقظك **ابن القيم** " التزم العبودية من الذل والخضوع والإنابة وامتثال أمره واجتناب نهيه وداوم الافتقار إليه واللجأ إليه والاستعانة به والتوكل عليه واستعذ به وأن لا يتعلق قلبك بغيره محبة وخوفاً ورجاءاً .. أى بداخلك أني عبد من جميع الوجوه صغيرًا وكبيرًا حيًا وميتًا مطيعًا وعاصيًا ، وفيه أيضًا أن مالي ونفسي مِلكُ لك ؛ فإن العبد وما عليه لسيده ؛ أنك الذي مننت علي بكل ما أنا فيه من نعمة فذلك كله من إنعامك على عبدك .. والعبد موته وحياته وسعادته وشقاوته وعافيته وبلاؤه كله إليه سبحانه " (الفوائد – ابن القيم /٣٢) ..

حلاوة الامتثال

فكم من أفكار فاسدة وأراء خاطئة تصححها تلك الاستجابة الربانية وتجلو لنا وجوه الحق فيها كما أن تلك المعانى إذا حلقت فى سماء القلب وارتشفت منها الروح يصير الإنسان عبدا يقظا مرهف الحس ينتفض بتيارات الروح القرآنى فيستخرج دقائق إشاراته وخفى عباراته ..

لذا حين تكون الاستجابة سريعة فورية زكية فمثل هذا العبد الذى هو أنا وأنت لا يأبه لأعاصير هادرة ولا لبوارق راعدة ولا لعواصف باردة وكما قيل " **إنما يطيع العبد ربه على قدر معرفته به وخوفه منه وإن الله ينزل عبده على قدر منزلته منه .. فهو سبحانه من إعطاء ومنع وقبض وبسط ؛ ووسع وضيق فتعرف إليك اى طلب منك**

أن تعرفه بصفاته وأسمائه فاطلب أنت معرفته فى كل حال وأقبل عليه بكليتك تكن عبده حقا وهو ربك حقا وصدقا " (فقه السالكين /٣٩-٤٠)

تحيـــا بكم كل أرض تنزلـــون بها	كأنكم فى بقاع الأرض أمطـــار
وتشتهى العين فيكم منظرا حسنا	كأنكم فى عيون الناس أزهـار
ونوركم يهتدى الســارى برؤيتـــه	كأنكم فى ظلام الليل أقمـــــار

** إلى الباحثين

أين أجدك ؟

جاء فى الأثر " يا رب أين أجدك ؟ قال : عند المنكسرة قلوبهم " .. (خواطر الفجر /١٢)

عند المنكسرة قلوبهم الذين إذا حل بهم مصيبة .. قالوا " إنا لله وإنا إليه راجعون "

عند المنكسرة قلوبهم الذين إذا نزل بهم مرض .. استغاثوا وإذا مرضت فهو يشفين

عند المنكسرة قلوبهم الذين إذا هاجمهم البلاء .. صبروا فوفوا أجورهم بغير حساب

عند المنكسرة قلوبهم الذين إذا ارتقوا المناصب .. لم يستطيلوا على الخلق وتواضعوا

عند المنكسرة قلوبهم الذين إذا انتابتهم الهموم .. نادوا : ألطف بخلقك يا لطيف

عند المنكسرة قلوبهم الذين إذا زارتهم الأفراح .. لهجت الألسن بالشكر والحمد والثناء

عند المنكسرة قلوبهم الذين إذا أتتهم الطاعة .. رفعوا أكف الوجل " اللهم تقبل يا كريم "

لا تنكر الجميل

فهو الذى رباك بنعمته .. وهداك إلى معرفته ..

فما لك لا ينقطع قلبك إليه .. وما لك لا تعتمد فى مهامك وحاجاتك عليه ..

يا مسكين : إن أعرضت وأبيت وفى جحودك تماديت فما أفقرك إليه وما أغناه عنك ..

يا مسكين :

أنت إن لم تكن له فإنه عنك غنى وأنت المسكين ..

وإن لم يكن لك فمن ذا الذى يحسن إليك ؟

ومن ذا الذى ينظر إليك ؟

ومن ذا الذى يهتم بشأنك ؟

يا مسكين :

بمن تتوسل إذا طردك عنه ؟

وكأنه يناديك " عبدى أنا لا أرضى إلا أن تكون لى أفترضي أن لا أكون لك ؟!! "..

إخواني :

" الإنسان سره بداخله ومفتاح هذا السر فى أن يتعرف على ربه فيختلف عن الآخرين يفرح بينما هم يتألمون كأنه ليس منهم ؛ يسر بينما هم يحزنون لأنه يفهم عن ربه ويبغى رضوان الله "

**** دروب وأقسام**

قسم العلماء العباد على ثلاثة دروب :

الأول : من يعبده خوفًا من عقوبته أو طمعًا في رحمته عاجلاً أم آجلاً وفيهم من يقول النبي(ص) " لولا النار ما سجد من ساجد " وهؤلاء عبادتهم " بنفسهم لأنفسهم " ..

الثاني : من يعبده محبة في ذاته وشوقًا إلى لقائه لا طمعًا في جنة أو خوفًا من نار وهم المحبون من السالكين وهؤلاء " بأنفسهم لله " ..

الثالث : من يعبده قيامًا بوظائف العبودية وهم المتقدمون من السالكين وعبادتهم " بالله ولله ومن الله وإلى الله (فقه السالكين بتصرف/ ١١٧-١١٨).

كى تتضح الرؤية

وظف مراتب العبودية أهل العلم ..

(قول القلب : اعتقاد ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقاءه على لسان رسوله .

قول اللسان : الإخبار عنه والدعوة إليه والقيام بذكره وتبليغ أمره.

عمل القلب : محبته والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له وإخلاص الدين له والصبر على أوامره ونواهيه وعلى أقداره والذل والخضوع ..

عمل الجوارح : الصلاة ، الصيام ، الجهاد .. مساعدة الغير ونقل الأقدام في الطاعات والإحسان إلى الخلق)..

فذلك هو الله

وذات مرة سأل رجل الإمام **جعفر الصادق** عن الله فقال : ألم تركب البحر ؟ قال : بلى .. قال : فهل حدث لك مرة أن هاجت بكم الريح عاصفة ؟ قال : نعم .. قال : وانقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة قال : نعم .. قال : فهل خطر فى بالك وانقدح فى نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء ؟ قال : نعم .. قال : فذلك هو الله ..

ها .. هل كمُل إيمانك ؟!

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** فى رسالة العبودية " العبادة أصل معناها الذل لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له .. ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدا له ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له .. بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شىء وان يكون أعظم عنده من كل شىء بل يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة وما عظم بغير أمر الله فتعظيمه باطل وإنما عبد الله الذى يرضيه ما يرضى الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما أحب الله ورسوله ويبغض ما أغضه الله ورسوله ويوالى أولياء الله ويعادى أعداء الله هذا هو الذى استكمل الإيمان "

(رسالة العبودية – ابن تيمية)

لذا فهذا العابد " لا يضطرب من شىء وكيف يضطرب ومعه الاستقرار ؟ لا يخاف من شىء وكيف يخاف ومعه الطمأنينة ؟ لا يخشى مخلوقا وكيف يخشى ومعه الله ؟ " (وحى القلم /٢/١٤) ..

همسة :

نستخلص من ذي **النون المصري** خلاصة تجربته " أن تكون عبده (الله) في كل حال كما أنه ربك في كل حال " (الرسالة القشيرية / ١٩٨)..

** مدرسة الحبيب وغرسه فى الصحابة

الواقع الذى نراه

" لقد طغت المادية على حياة مجتمعاتنا فى الوقت الذى انحسرت الربانية إلى حد كبير وذلك نتيجة تلك الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات التى غزت بلادنا .. لقد طغى ظلام المادة فى حياتنا على نور الحق وسمو الروح لقد سادت المقاييس والموازين المادية على المقاييس الربانية لقد استحوذت الدنيا بمتعها التافهة الزائفة على اهتمام الكثير من الناس وصارت أكبر هممهم ومبلغ علمهم وشغلوا بها عن الحياة الآخرة الدائمة ونعيمها لقد هبطت أخلاق الكثيرين حتى صارت اقرب إلى البهيميه منها إلى الإنسانية فحلت الأنانية محل الإيثار والتنازع والاقتتال محل الحب والوئام " (بين الربانية والمادية – مصطفى مشهور /٨)

اتفاق وإجماع

اتفق أهل العلم " إن أعظم الطرق إلى الله سبحانه هو طريق العبادة ويوم مدح الله تبارك وتعالى أنبياءه ورسله قال " وكانوا لنا عابدين " وقال عن زكريا لما أصلح له زوجه " وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين " ولما أراد الله سبحان أن يشرف رسوله لم يقل له : أيها الهاشمى ولا قال : يا أبا القاسم ولا قال : أيها الرسول ولا أيها النبى إلا فى مواطن محددة لكن فى موقف التشريف قال " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا " وفى موقف الإنذار قال " وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا " وفى موقف إنزال القرآن عليه قال " تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا "

أعظم إنسان عرف ربه

" إن أعظم إنسان عرف ربه وتحولت كل ذرة فى كيانه إلى قوة ساجدة هو محمد بن عبد الله كان القرآن له خلقا فهو يستبطن معانيه ويدور مع توجيهه أنه مشدود أبدا إلى آيات الله فى الوحى الهادى والملكوت الواسع وهو يجتذب من اتصل به إلى هذا المستوى الطهور العالى فيجعله عارفا بالله قواما بأمره .. لذلك رأينا أصحابه أصدق إيمانا واصفاهم فطرة .. وابرز ما فى سيرته أن حبه لله وإعظامه لله وتفانيه فى الله ينتقل من نفسه إلى من حوله فكأنهم فى سباق إلى حمد الله والثناء عليه " (فن الذكر والدعاء /٩٧).

** المعلم يعلم

*عند العبادة:

عن **عائشة** رضي الله عنها قالت : كان النبي (ص) يقوم من الليل حتى تتفطر (تتورم وتشتقق) قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال " **أفلا أكون عبدا شكورا** " متفق عليه ولا زال الكلام علي لسان **عائشة** .. عندما قالت لرجل : لا تدع قيام الليل فإن رسول الله كان لا يدعه وكان إذا مرض أو قالت كسل صلى قاعدا " رواه أبو داود

يا سادة : أما جاء هذا اليوم الذي تنهض فيه الأقدام وتخشع القلوب وتدمع العيون وتردد الألسنه " اللهم لك الحمد كله ولك الشكر كله "

أما احمر الوجه إستحياءاً من الله ومن رسوله ..

* عند الانتصـار:

يوم فتح الله له مكة واندحرت جحافل قريش الطاغية الباغية التى نصبت له فخ العداء نحو عشرين سنة وانتصـــر على صناديد الكفر ورغم ما رآه من سوء معاملتهم وقسوة قلوبهم وشدة تعذيبهم وهو القائد المظفر دخل على جمل ولكن أتدرون ما حاله ؟ دخل وهو مطأطأ الرأس خضوعاً وشكراً لله سبحانه.. لأنه مهما انتفشت أسـباب النجـاح وسطع بريقه فلا تغررك نفسك ولا تأخذك العزة وانظر للمنعم .. فعن **ابن عمر** مرفوعا " **إن الرجـل يـأتى يـوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقدم النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفذ ذلك إلا أن يتطاول الله برحمته** " (رواه الطبرانى فى الأوسط)

* عند الصحب الكرام:

كان رسول الله **(ص)** فى سفر مع جماعة فلما حان موعد الطعام عزموا على إعداد شاه يأكلونها فقال أحدهم : عليّ ذبحها وقال الآخر عليّ سلخها والثالث عليّ طبخها فقال الرسول (ص) " **وأنا عليّ جمع الحطـب** " فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك العمل فقال "**علمت أنكم تكفونني ولكننى أكره أن أتميز عليكم وإن الله سبحانه وتعالى يكـره مـن عبده أن يراه مميزاً بين أصحابه!!..**

* عند المسـاكين :

انظر عطفه على المساكين ورجاءه " **اللهم أحيني مسكينا و أمتني مسكينا و احشرني في زمـرة المسـاكين** " (صحيح : رواه الطبرانى الضياء عن عبادة بن الصامت انظر الحديث رقم ١٢٦١صحيح الجامع)

وليس هذا طلباً للفقر بل للرحمة والتواضع .. فهو من قال " **اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر !!..**" **ونصيحته** " **إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم** " (حسن : رواه المنذرى وأحمد انظر الحـديث رقـم ١٤١٠صحيح الجامع)

* **عند ربـــه:**

روى الطبرانى أنه كان مما دعا به النبى (ص) عشية عرفة " **اللهم إنك ترى مكانى وتسمع كلامى وتعلـم سـرى وعلانيتى ؛ لا يخفى عليك شىء من أمرى ..**

أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وذل جسده ورغم انفه .. اللهم لا تجعلنى بدعائك شقيا وكن بر رءوفا رحيما يا خير المسئولين ويا خير المعطين "(رواه الطبرانى عن ابن عباس انظر الحديث رقم ١١٨٦ضعيف الجامع)

*ولا أحد ينسى يوم الطائف حين رفع قلبه أكف الضراعة " **اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ! إلى من تكلني ؟ إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري ؟ إن لم تكن ساخطا علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السماوات والأرض وأشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تحل علي غضبك أو تنزل علي سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك** "."(انظر الحديث رقم ١١٨٢ضعيف الجامع)

وأمير المؤمنين ينفذ
الفاتح المتواضع
ونهل من ذلك بن الخطاب فأدرك حاله عندما دخل بيت المقدس فاتحًا " كان بينه وبين غلامه الذى معه مناوبة (كل واحد منهما يركب الراحلة بالتبادل) فلما قرب من الشام كانت نوبة ركوب الغلام فركب الغلام واخذ عمر بزمام الناقة فاستقبله الماء فى الطريق فجعل عمر يخوض فى الماء ونعله تحت إبطه اليسرى وهو آخذ بزمام الناقة فخرج أبو عبيدة وكان أميرا على الشام وقال : يا أمير المؤمنين إن عظماء الشام يخرجون إليك فلا يحسن أن يروك على هذا الحال فقال عمر : إنما أعزنا الله بالإسلام فلا نبالى بمقالة الناس " (تنبيه الغافلين /١٤١)
وروى أنه سجد سجدة عند تسلم مفتاح بيت المقدس من صلاة العشاء فما رفع رأسه إلا والفجر يؤذن له !!
الأميـر المسكين
وكان أمير المؤمنين مفعم الصدر بخشية الله وهو يمشى فى أزقة المدينة يتفقد رعيته وينصت المسامع ليتعرف ما هنالك كان الرجل الكبير يحمل هموم الجماهير ويسهر ليقدم حسابا إلى الله عما ولى من شئون الأمة ! وكانت تلك المشاعر المضغوطة كالوقود الذى يرتقب شعلة ليلتهب ..
فلما سمع " إن عذاب ربك لواقع " كان ذلك كافيا ليوجل قلبه ويشحب وجهه وتدمع عينه ويئوب إلى بيته عليلا وما به عله إلا مخافة الله والإذلال لعظمته " (فن الذكر والدعاء /١٠٦)..
وعمر إن شاء الله يبعث من الآمنين فهو من السابقين الأولين والعشرة المبشرين ولكن الضمير الحساس لا يعرف طمأنينة حتى يلقى الله بما أدى ووفى ..!!
والنجاشى مع الركب سار
أصبح النجاشي يوماً جالساً على الأرض والتاج عليه فأعظمت بطارقته ذلك وسألوه عن السبب الذي أوجبه فقال: إني وجدت فيما أنزل الله على المسيح : إذا أنعمت على عبدي نعمة فتواضع أتممتها عليه وإنه ولد لي هذه الليلة غلام فتواضعت شكراً لله .. (العقد الفريد /١ / ١٣٩)
وابن الجوزى يضع المقياس
" من أراد أن يعلم حقيقة الرضى عن الله عز وجل في أفعاله ومن أين ينشأ فليفكر في أحوال الرسول فإنه لما تكاملت معرفته بالخالق فسلم تسليم مملوك لحكيم فكانت العجائب تجرى عليه.. إنه ابتلى شديد .. وهذا الشيء ما قدر على الصبر عليه كما ينبغي لنبي قبله ولو ابتليت به الملائكة ما صبرت .. هذا آدم يباح له الجنة سوى شجرة فلا يقع ذباب حرصه إلا على الفقر.. وعيسى يقول " إن صرفت الموت عن أحد فاصرفه عني" وسليمان يقول : هب لي ملكاً.. ونبينا (ص) يقول في المباح .. ما لي وللدنيا ؟!!!." (صيد الخاطر – ابن الجوزى)

يا أرباب القلوب الضائعة :

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ؟!.

وقبل السلام

انصب خيمتك

يا حبيب رسول الله :

ما حالك وهذه العبادة ؟! وأين أثرك ؟! أحب عبادات الله إليه وخير عباد الله من كان كذلك .. فهل استشعر قلبك حقيقة فقرك إلى الله ؟! وأخبرني متى تحنى رأسك اعترافا لربك ؟!.. وإن فعلت فمثلك كمن أصلح أرضا طيبة وألقى البذر الطيب ثم أمدها بماء الذل والخضوع ورعاها حق رعايتها ونقلها من آفات الكبر والعجب والرياء ثم جلس ينتظر فضل الله عليه ليتم الزرع نضجه ويبلغ استواءه .. أما من بذر فى أرض بوار لا يصل إليها ماء أو ينعشها هواء ولم يرعاها وجلس منتظرا حصادها كان انتظاره حمقا وغرورا .. وإذا طلبت مزيد من الشرح فيكمل الحسن الكلام إذ يصف حال المؤمنين " **عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم إن المؤمن جمع إحسانًا وخشية والمنافق جمع إساءة وأناة** " **(الحسن البصرى / ١٢١)**

ردد معى :

والله ما أحلى قولك بآذان قلبك .. أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني أسأل بقوتك وضعفي وبغناك عني وفقري إليك هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك عبيدك سواي كثر وليس لي سيد سواك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير سؤال من خضعت لك رقبته ورغم لك أنفه وفاضت لك عيناه وذل لك قلبه ..

أحضر قلبك معك وجرب ذلك حالاً حالاً ..

ويهتف حمدا جمـــال الصبـــاح ... وسحر الربيع الشهــى العطر
وسحر السماء الشجى الوديع ... وهمــس النسيــم ولحن المطر
تسبحه نغمـــــات الطيـــور ... يسبحه الظــل تحت الشجــر
يسبحه النبـــع بين المـــروج ... يسبحه دومـــا أريــج الزهــر
يسبحه النور بين الغصــــون ... وسحر السماء وضـــوء القمر

همسة :

قال أحد الصالحين " ما أصغيت إلى صوت حيوان ولا حفيف شجر ولا خرير ماء ولا ترنم طائر ولا قعقعة رعد إلا أجدنى مرددا

" كل قد علم صلاته وتسبيحه "

الزيارة الثانية

أنا عبد لله ..

لمــاذا؟!

ضربة البداية

أكبر العار

" أكبر العار على الكائن الذى أوتى العقل والإرادة أن يعيش غافلا

يأكل ويتمتع كما تأكل الأنعام لا يفكر فى مصيره

ولا يدرى شيئا عن حقيقة نفسه وطبيعة دوره فى هذه الحياة

حتى يوافيه الموت بغتة فيواجه مصيره المجهول دون استعداد له

ويجنى ثمرة الغفلة والجهل والانحراف فى عمره الطويل أو القصير

وحينئذ يندم حين لا ينفع الندم ويرجو الخلاص ولات حين مناص " (العبادة فى الإسلام/١١) ..

لهذا ..

كان لزاما على كل عاقل أن يبادر فيسأل نفسه بجد :

لماذا خلقت ؟ وما غاية خلقى ؟

لأنه :

١- حق الله عليك :

عن **معاذ بن جبل** رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى (ص) على حمار فقال لى : **يا معاذ .. أتدرى ما حق الله على العباد ؟** قلت : الله ورسوله أعلم .. قال : حق **الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شـــيئا** " (صـــحيح : رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه عن معاذ بن جبل انظر الحديث رقم ٧٩٦٨صحيح الجامع)

اخوتى ..

إننا لم نكن شيئا مذكورا ثم كنا .. خرجنا من ظلمة العدم إلى نور الوجود .. خلقنا فى أحسن تقويم وصـــورنا فـــى أحسن صورة .. وعُلمنا البيان وأوتينا العقل والإرادة .. وسخرت لنا الكائنات والجمادات لخـــدمتنا .. الأرض لنـــا فراش ومهاد والسماء لنا سقف وبناء والشمس تبثنا بالضوء والحرارة والبحار تجرى فيها سفائننا بأرزاقنا والمـــاء ينزل من السماء ليكون لنا شرابا طهورا ونسقى منه أنعاما وأناسى كثيرا ..

ترى من الذى فعل كل ذلك ؟

" قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله أفلا تذكرون * قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون "..

وتتجلى الآية الكريمة التى تلخص دفاتر الوجود " وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون "

وسبحان من همس فى أذنك " **إنى والإنس والجن فى نبأ عظيم .. أخلق ويعبد غيرى ! وأرزق ويشكر سواى ! خيرى إلى العباد نازل وشرهم إلى صاعد ! أتحبب إليهم بنعمى وأنا الغنى عنهم فيتعرضون إلى بالمعاصى وهم أفقر شىء إلى** " !! ..

أفهمت أم أشرح لك ؟!

٢- دأب الصالحين :

كان حال الصالحين دوماً كتصريح أحدهم " دخلت على الله من أبواب الطاعات كلها فما دخلت من باب إلا رأيت عليه الزحام فلم أتمكن حتى جئت باب الذل والافتقار **فإذا هو أقرب باب إليه وأوسعه ولا مزاحم ولا معوق فما هو إلا أن وضعت قدمي في عتبته فإذا هو سبحانه قد أخذ بيدي وأدخلني عليه** " (مدارج السالكين – ابن القيم)

.. هكذا كان حالهم وهذه كانت حياتهم .. يقرعون باب الذل .. ويتشرفون برفع أكفهم للضراعة والإنابة ..قتلوا فى أنفسهم الإنكار والجحود .. والكبر والجبروت ..

لذا أقول لك :

ما ردده السابقون " كيف يسلم من له زوجة لا ترحمه وولد لا يعذره وجار لا يأمنه وصاحب لا ينصحه وشريك لا ينصفه وعدو لا ينام عن معاداته ونفس أمارة بالسوء ودنيا متزينة وهوى مرد وشهوة غالبة له وغضب قاهر وشيطان مزين وضعف متسول عليه فإن تولاه الله وجذبه إليه انقهرت له هذه كلها وان تخلى عنه ووكله إلى نفسه اجتمعت عليه فكانت الهلكة " (الفوائد /٦٣) ..

فما حالك الآن ؟

ولهذا أخبروك " من عرف الله أحبه ومن أحب الله أطاعه ومن أطاع الله أكرمه ومن أكرمه الله أسكنه فى جواره ومن أسكنه فى جواره فطوبى له .. طوبى له "

ومن أدمن قرع الله يوشك أن يفتح له **!!**..

٣- استجابة للنداء من فوق سبع سماوات

يقول الله تعالى " **يا أيها الناس إنى ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة ولا لأستكثر بكم من قلة ولا لأستعين بكم على دفع أمر عجزت عن دفعه و لجلب منفعة ولا لدفع مضرة ولكنى خلقتكم لتعبدونى طويلاً وتذكرونى كثيراً وتسبحونى بكرة وأصيلاً** " رواه الخطيب فى العقيدة ..

لأن الواقع الذى نحياه يعبر أنه فساد فى الفطرة وظلمة فى القلب وكدر فى الأفهام ومحق فى العقول .. فصارت النفس مقام العقل؛ والهوى مقام الرشد؛ والضلال مقام الهدى؛ والمنكر مقام المعروف؛ والجهل مقام العلم؛ والرياء مقام الإخلاص؛ والباطل مقام الحق؛ والكذب مقام الصدق؛ والظلم مقام العدل .. لذا ينتزع ربك أشواك ذلك الواقع ليضع أمامنا ما خلقنا له ..

ونكرر الإجابة حتى تدرك " **لتعبدونى طويلاً وتذكرونى كثيراً وتسبحونى بكرة وأصيلاً** "

ويشرح **أبو الدراداء** لمن يثقل على كاهلهم العبادة وكأنها هم ثقيل وغم حاضر وعذاب واصب " لا تجعلوا عبادة الله بلاء عليكم ؛ يقول : يوقت الرجل على نفسه العمل "

أى :

" أن لا يشدد العبد على نفسه فى كثرة العبادة فيفعلها بغير محبة وإقبال على الله عز وجل ؛ كمن يعمل العمل الذى كلف به فشق عليه بتضجر وتبرم " (الزهد لابن المبارك /٢/٥٦٦)

ويزيد الأمر بياناً صاحب عدة الصابرين " لله تبارك وتعالى على عبده نوعان من الحقوق لا ينفك عنهما .. أحدهما : القيام بأمره ونهيه الذين هما محض حقه علينا .. الثانى : شكر نعمه التى أنعم بها علينا " (عدة الصابرين /٢٣٠) .. وقبل أن تنفض يديك أن قد أديت ما علىَ ! ..

فيوعيك الحبيب (ص) " **لو أن رجلا يُجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرمًا فى مرضاة الله لحقره يوم القيامة** " (حسن : رواه احمد والطبرانى و البخارى فى التاريخ عن عتبة بن عبد انظر الحديث رقم٥٢٤٩ صحيح الجامع)

.. ها ..أأدركت ما رأيت ؟!

٤- اعتلاء قمة المجد

يقول صاحب خواطر الفجر " إن الإنسان ليعتلى قمة المجد والشرف إذا ما أصبح عبد لله والعباد يكونون فى أحسن أحوالهم ساعة تعنو جباههم لرب العزة فى السجود الخاضع الذليل عندئذ يعرفون وصفهم ويلزمون حدهم ويعطون الخالق الكبير حقه فينالون شرف العبودية .. هذا هو الزاد انه الاتصال بالقوة العظمى حتى لا ينقطع بنا حبل الصبر فالطريق طويل والعبء ثقيل ولابد من الزاد الكثير والمدد الكبير " (خواطر الفجر /٣١٤) ..

وبصيغة أخرى أقول لكم :

ماذا يملك من أمره من ناصيته بيد الله ونفسه بيد الله وقلبه بين إصبعين من أصابعه يقلبه كيف يشاء وحياته بيد الله وموته بيد الله وسعادته بيد الله وشقاوته بيد الله وحركاته وسكناته وأقواله وأفعاله بمشيئة الله فلا يتحرك إلا بإذنه ولا يفعل إلا بمشيئته ..

فإن وكله إلى نفسه وكله إلى العجز والضياع والتفريط والذنب والخطيئة .. وإن وكله إلى غيره وكله إلى من لا يملك له ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً .. فهو لا غنى له عنه طرفة عين ومع هذا يتخلف ويعرض .. وقد صار لذكره نسياً واتخذه وراءه ظهرياً ..

هل تمتلك مفاتيح التوفيق ؟!

أجمع أهل العلم أن " التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك وان الخذلان هو أن يخلى بينك وبين نفسك فإذا كان كل خير فأصله التوفيق وهو بيد الله لا بيد العبد فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد الله أن يفتح له ومتى أضله عن المفتاح بقى باب الخير مرتجًا دونه " (الفوائد /١٢٨)..

وامتلكه يونس عليه السلام فقد روي عن أنه قال يومًا لجبريل عليه السلام : دلني على أعبد أهل الأرض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وشعره قال : فدنا يونس منه فسمعه يقول : إلهى قد متعتني بقوتي كما تشاء ثم سلبتني قوتي كما تشاء وأبقيت لي فيك الأمل بالخير فلك الفضل عليّ "(تنبيه المغترين / ١٩٣)

٥- أشرف شيء في الوجود

يقول **أبا علي الدقاق** " ليس شيء أشرف من العبودية ولا اسم أتم للمؤمن من الاسم له بالعبودية ولذلك قال سبحانه في وصف النبي ليلة المعراج وكان أشرف أوقاته في الدنيا " سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى " وقال تعالى " فأوحى إلى عبده ما أوحى ".. فلو كان اسم أجل من العبودية لسماه به " (الرسالة القشيرية / ٢٠٠) ..

أسمعت ؟!

لو كان عند الله خير من كلمة عبد لسمى حبيبه (ص) بها وهو النبي (ص) وأنت أما تشتاق أن تكون عبداً لله سبحانه وتتباهى بها يوم القيامة ؟! .. وحينها تهنئ فائزًا غانمًا عندما يناديك ربك : يا عبدي أُدن مني .. ويا لها من كلمات رقيقة تروى في القلب حب الله والسعي لمرضاته.. أني كانت الظروف وكيفما كانت الأحوال ..

ففى الدنيا ستري من يتباهى بنسبه وجاهه وماله وشكله وملبسه .. ولكن بماذا سيتباهى هذا يوم القيامة ؟!..

بالله عليك قل لى .. بماذا يتباهى أمام رب الأرض والسماوات ؟!..

٦- انضمام إلى عباد الرحمن ..

عندما ذكرت هذه الآية " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ".. ويعلق **الحسن** " المؤمنون قوم ذلل ذلت والله الأسماع والأبصار والجوارح حتى حسبهم الجاهل مرضى والله ما بالقوم من مرض وإنهم لأصحاء القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة وقالوا : الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن والله ما أحزنهم ما احزن الناس ولا تعاظم فى أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار ومن لم ير لله عليه نعمة إلا فى مطعم أو مشرب فقد قل علمه وحضر عذابه " (الزهد لابن المبارك /٢٤٩/١) ..

أنا المشغول بذنبى عن ذنوب العالمينا ... وخطايا أثقلتنى وتركت قلبى حزينا
وقد كنت جليلا فى عيون الناظرينا ... صرت فى ظلمة قبرى ثاويا فيه رهينا
بعد عز وسرور فوق وصف الواصفينا ... فأتى الموت علينا بعد هذا ففينا
وعلمنا ففهمنا ما لنا الآن نسينا ... أن حيًا ليس يبقى غير رب العالمينا

إخواني : قلوبكم رحلت عن الأجسام .. فإلى متى أتحدث وليس فى الحى إلا الخيام ؟..

إخواني: أما تنظرون إلى ما فعلت بكم الزلات والآثام ؟..

إخواني: قيدكم التقصير وقد دنا الحمام .. فأواه من هول يوم النشور ويوم ينفخ فى الصور ؟

بالله يا إخوانى إلى متى تتأخرون وتتكاسلون وهذا المشيب أتى وقد تولى الشباب ؟ متى تصالح مولاك ؟ متى تقف بالباب ؟ أما اعتبرت بالراحلين من الأحباب والأتراب ؟

نقطة التحول

سُئل **الجنيد** عن عباد الرحمن من هم ؟!

فقال " طاعة الله حلاوتهم والفقر كرامتهم وترك الدنيا لذتهم وإلى الله حاجتهم والتقوى زادهم ومع الله تجارتهم وعليه اعتمادهم وبه أنسهم وعليه توكلهم والجوع طعامهم وحُسن الخلق لباسهم والسخاء حرفتهم والعلم قائدهم والصبر سائقهم والهدى مركبهم والقرآن حديثهم والشكر زينتهم والذكر همتهم والرضا راحتهم والقناعة مالهم والعبادة كسبهم والحياء قميصهم والخوف سجيتهم والنهار عبرتهم والليل فكرتهم والحكمة سيفهم والحق حارسهم والحياة مرحلتهم والموت منزلتهم والنظر إلى الله منيتهم فهؤلاء هم عباد الرحمن " (طهارة القلوب / ٢٢٢) ..

والله إن لهذه الكلمات رنينًا لا تصغي إليه إلا القلوب المتعطشة إلى الرب جل وعلا .. فلتتأمل يا أخي تلك الكلمات ولو خرجت بها فقط من كل تلك الصفحات لكفت ؟! ..

لو يعلم الناس

ولحب الله إيانا رزقنا عقولاً تفقه وقلوبًا تنبض.. ولهذا كانت عبوديتنا له من قبيل حبه لا من قبيل سطوته لذا كان حبه واشتياقه لكل عبد يريد أن يُرى عظيم المقدار فاسمع بآذان قلبك " أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقًا إلي وتقطعت أوصالهم من محبتي .. يا داود هذا إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي بالمقلبين علي !! "(التبصرة ١ / ٢٨)

فوا عجبًا لمن يأمن وكم أُخذ آمن من مأمن .. لأن من تفكر في الذنوب علم أن لذات الأوزار إلى زوال والمعاصي بالعاصى آلت إلى النار ...

قائد الغفلة الأمــــل	والهوى قائد الزلل
فاغتنم يا أخانا شبابك	واستــأنف العمل
فعلام الوقوف عـاجزًا	ورضاك بالكسل

ومن شدة العبودية والإقبال تدفقت دموع أبو عبد الله البلخي قائلاً " عبيد الدنيا يريدون من ساداتهم أن يرضوا عنهم وعبد الله تعالى يريد منه أن يرضى عنه " (تنبيه المغترين/ ١٩٤)

٧- تقدير الله حق قدره

فقدره عظيم ووجهه كريم وفضله واسع وجوده شامل

ولكن العباد ما قدروا الله حق قدره ..

خلق الخلق وتكفل بالرزق وحفظ النفوس واطلع على السرائر وعلم النيات

ولكن الناس ما قدروا الله حق قدره..

الأرض جميعا قبضته والسماوات مطويات بيمينه والكون كله فى ملكه والخليقة فقيرة إليه

ولكنهم ما قدروا الله حق قدره ..

بارزوه بالمعاصى وأغضبوه بالذنوب وقابلوه بالسيئات وأتوه بالخطايا

لأنهم ما قدروا الله حق قدره ..

هجروا المساجد تركوا المصاحف عطلوا الشريعة

لأنهم ما قدروا الله حق قدره ..

حق قدره

.." إن من تقدير الله حق قدره طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر والشكر على ما يسر والحمد له على أنه ستر وغفر مع متابعه رسوله والعمل بكتابه والقيام بطاعته وهجر معاصيه والرضا به ربًا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً " (على بوابة الوحى /١٨٠ بتصرف)

٨- تصحيح الوجهة..

يقول صاحب **هذا ديننا** " إن الإسلام ليس أفعالا تعد على الأصابع دون زيادة أو نقص كلا إنه صــلاحية الإنســان للمسير فى الحياة وهو يؤدى رسالة محددة فالمهندس الذى يصنع اله ما لا يعنيه كم تنتج من السلع وإنما يعنيــه أن تكون أجهزتها مستعدة على الدوام لإنجاز ما تكلف به .. فصلاحية الطيارة للانطلاق وصلاحية المــدفع للقــذف

وصلاحية القلم للكتابة هذه الصلاحيات هى مناط الحكم على قيمة الشىء فإذا اطمأننا إلى وجودها قبلناها ورجونـــا ثمرتها .. كذلك الإنسان ..
إن الإسلام يريد أن تستقيم أجهزته النفسية أولا فإذا توفرت لها صلاحيتها المنشودة بصدق اليقين وسلامة الوجهـــة فكل عمل تتعرض له فى الحياة يتحول من تلقاء نفسه إلى طاعة الله إن آله سك النقود يدخله المعدن الغفل – الخام– فيخرج منها عملة مالية غالية الثمن تحمل من الألوان والأختام والشارات ما يجعلها شيئا آخر كذلك المسلم يعـــالج ما يعالج من شئون الدنيا فيضفى عليه من طبيعة إيمانه وسناء وجهته ما يجعل أى عمل يقبل عليه يتحول فى يـــده إلى عبادة غالية القدر .. وليس للأعمال الصالحة قدر تنتهى عنده ولا رسم تخرج فيه .. إنما هو إسلام الوجـــه لله وإصلاح العمل والبلوغ به حد الكمال المطلوب " (هذا ديننا /٨٤)
ولكى نحوز البشرى ..
أوحى الله إلى **داود** " **يا داود** ابلغ أهل الأرض إنى حبيب لمن أحبنى وجليس لمن جالسنى ومؤنس لمـــن بـــذكرى وصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ما أحبنى عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قبلتـــه لنفسى .. من طلبنى بالحق وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فارفضوا يا أهل الأرض ما انتم عليه من غرورها وهلموا إلى كرامتى ومصاحبتى ومجالستى وأنسوا بى أونسكم وأسارع إلى محبتكم " (طهارة القلوب /٢٩٥)
٩- أداء شكر النعم
يقول **ابن القيم** " الرب تبارك اسمه وتعالى جده هو المنعم بصنوف النعم التى لا يحصيها أهل سماواته وأرضه .. فإيجادهم نعمة منه.. وجعلهم أحياء ناطقين نعمة منه.. وإعطاؤهم الأسماع والأبصار والعقول نعمة منـــه.. وإدرار الأرزاق عليهم نعمة منه.. وتعريفهم نفسه بأسمائه وصفاته وأفعاله نعمة منه.. وإجراء ذكره على ألسنتهم ومحبتـــه ومعرفته على قلوبهم نعمة منه.. وحفظهم بعد إيجادهم نعمة منه .. وقيامه بمصالحهم دقيقها وجليلها نعمة منـــه .. وهدايتهم إلى أسباب مصالحهم ومعايشهم نعمة منه.. وذكر نعمه تعالى على سبيل التفصيل لا سبيل إليه ولا قـــدرة للبشر عليه " (شفاء العليل)
وجلب المدد الربانى
قد يدخل مريض الرعاية المركزة وهو بين الحياة والموت فلا يستطيع الحركة والنطق .. لديه نقص شديد فى الدم وعدم القدرة على التنفس وضعف فى القلب وفور دخوله هذه الغرفة يتم وإمداده بالأنابيب والتوصيلات واحدة تضخ الدم وثانية للتنفس وثالثة للقلب وربعة للتغذية .. ومع مرور الوقت يبدأ فى التحسن .. ولله المثل الأعلى فحالنا مـــع الله عز وجل وحاجتنا إلى إمداداته المتوالية علينا اشد من حاجة هذا المريض لهذه الإمدادات ونحن بدون الله عـــز وجل فلا قيمة لأى خلية من خلايانا ولا عضو من أعضائنا ولا جهاز من أجهزتنا .. " ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده " (حطم صنمك بتصرف /٨١-٨٢)
١٠- نيل مراتب الرضا
كان رجل أعرابى من بنى عبس ذا أهل ومال ومنزل فسيح وثروة كبيرة .. وذات يوم خرج يلتمس إبلاً ضالة فلما عاد إلى بيته لم يجد بيته أو أهله أو ولده أو ماله أو ركابه .. ذلك أن سيلا جرف الجميع وانزووا تحـــت الحطـــام والرمال فاحتسبهم الرجل عند الله وإذ بجمل ممن عاد بهم يجرى ويفر فيتبعه مهرولا وراءه فرفسه الجمل فى وجهه فذهبت عيناه !! .. وجيء به إلى الوليد بن عبد الملك .. فقال له : كيف أنت الآن ؟ قال الرجل : راض عن الله .. صنعته العبادة هذه الصناعة .. وألبسته العبادة حلل الرضا ..

مالك لا ترضى ؟!

يا قليل البضاعة : مالك لا ترضى وقد وهبك الله عينين ولسانا وشفتين ويدين ورجلين ؟!.. لم لا ترضى فإن كنت فقيرا فغيرك حبسه الدين ؟!.. وإن كنت خسرت فهناك من لا يملك رغيف خبزه ؟!.. وإن كان عندك قوت يومـك فغيرك يتسول ثمن دوائه ؟! .. وإن كنت تشكو العلة والمرض فغيرك طريح الفراش منـذ أعـوام ؟!.. فمالـك لا ترضى ؟! لذا كان من مناجاة أحد العابدين " يئست من نفع نفسى لنفسى فكيف لا أيأس من نفع غيرى لها ورجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى "

وإن كنت لا ترضى

فهل السخط سيجمع ما انكسر ؟! أو يرد ما اندثر؟! فالرضا باب اليقين الأكبر وبستان العبودية الأخضر " رضى الله عنهم ورضوا عنه " فالرضا مطردة للهموم والغموم ومذهب للأحزان .. وعلاج للتردد ولحيرة فمن دخـل بيـت الرضا فهو امن ومن استقبل كعبته فهو مخبت ومن صلى فى محرابه فهو عبد حليم آواه منيب .. ذلـك أن العبـد الراضى عن الله لا يحب الحزن العيش فى ردائه ؛ ولا يحبذ الهم السكن فى داره ؛ ولا يستريح الغم للسـير فـى ركابه ..

حكاية أمير المؤمنين

وارتشف من هذه الجرعة **أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** كان إذا أصابته مصيبة

قال : إنى لأحمد الله على كل مصيبة أربع مرات ..

الأولى : لأنه لم يجعلها أكبر من ذلك ولو شاء فعل

الثانية : أن لم يجعلها فى دينى وكل ما سواه هين

الثالثة : أن رزقنى الصبر عليها والصبر ثوابه الجنة ..

الرابعة : أن وفقنى للاسترجاع ولا يخفى على مؤمن أجر ذلك من رحمة الله وصلواته وهدايته " (تنبيه الغافلين / ١٨٣)..

وانهل من كأس الإيمان اللذيذ حيث دلك صاحب المائدة قائلا (ص) " **ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا** " (صحيح : رواه احمد ومسلم والترمذى عن العباس بن عبد المطلب انظـر الحـديث رقـم ٣٤٢٥ صحيح الجامع)

وقبل السلام

وبعد أما تستحى ؟!

يجرى الاحمرار على وجهك **ابن القيم** مصارحا "

شكرك لا يساوى قدر قوتك ، ولا بارك الله في دابة لا تعمل بعلفها ، متى رأيت العقل يؤثر الفاني على الباقي فاعلم أنه قد مسخ ؛

ومتى رأيت القلب ترحل عنه حب الله والاستعداد للقائه وحل بدلا من ذلك الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنـــان إليهـــا فاعلم أنه قد خسف به ،

ومتى رأيت العين قد قحطت فاعلم أن قحطها من قسوة القلب وأبعد القلوب من الله القلب القاسية

ومتى رأيت نفسك تهرب من الأنس بالله إلى الأنس بالخلوة ومن الخلوة مع الله إلى الخلوة مع الأغيار فاعلم أنك لا تصلح له

ومتى رأيته يستزيد غيرك وأنت لا تطلب ويستدنى سواك وأنت لا تقرب فاعلم أنه الحجاب والعذاب "..

همسة :

وقع رجلاً فى معصية فناجى ربه قائلاً " إلهى : أنت قضيت ؛ أنت قدرت ؛ أنت حكمت فسمع صوتا يقول له : هذا حق الربوبية فأين أدب العبودية ؟ فقال : إلهى أنا عصيت ؛ أنا أسرفت ؛ أنا ظلمت .. فسمع كأن الله يقول له : وأنا غفرت ؛ وأنا عفوت ؛ وأنا رحمت " ..

الزيارة الثالثة

تأمـــــلات وبراهين ..

وجرعات شافية))

ضربة البداية

ما أكثر الألسنه المتحركة باسم الله وأقل جدواها ..

وما أندر الأفئدة الخاشعة لعبودية ربها وأحوج العالم إليها ..

إن فساد الحياة يجيء من تحولها إلى ألفاظ ومظاهر ولن تحرز العبودية دورها إلا يوم تنشيء الضمائر الحية والسرائر الطاهرة التى ترمق المنازل فى أعلى الفردوس ..

يا هذا ..

ما أعظم المصيبة على من فقد قلبًا واعياً ..

وما أسرع العقوبة على من عدم طرفًا باكيًا ..

وما أكثر حسرة من كان فى أمره ساهيا ..

وما أدوم ندامة من أمسى وأصبح لاهيا ..

** = فاتحـة الكتاب..

مشاعر قلب

حين تنساب الآيات ويلهج اللسان .. (**الحمد لله**) .. فيخرج معها القلب آهات الشكر والثناء فينفض عن كاهله زحمة الانشغالات ويتحرر من المسئوليات فتتابع وتتوالى الرحمات ..

(**ورب العالمين**) وتذكر قول ربك يوم القيامة بعد أن تباد الخلائق والأكوان : لمن الملك اليوم .. لله الواحد القهار ثم يردد (**الرحمن الرحيم**) فتتدفق إلى النفس الاعتذار عما جنت .. وتقول رحمتك يا رب .. رضاك يا رب .. سامح واغفر وتجاوز عما تعلم .. ثم ينفض يده من كل المتعلقات استعدادا لقوله مالك يوم الدين فيستشعر القلب التقصير ويتدارك الغفلة ..

ثم يأتى الاعتراف الجميل إياك نعبد وإياك نستعين كافة التسليم وغاية التعظيم .. **اهدنا الصراط المستقيم** .. يا رب ارزقنى هداية من عندك تهدى بها قلبى وتشرح بها صدرى وتصلح بها نفسى وتحسن بها خلقى وبها على صراطك تثبتنى ..

وتنهمر آيات السورة تلو بعضها وكأنها ينبوع يضفي على العقل والقلب والروح الطمأنينة ومعايشة حب الله من خلال حمده والثناء عليه ثم " **إياك نعبد وإياك نستعين** " هذه الآية الثقيلة والرقيقة فى نفس الوقت ..العظيمة المعنى

والتي ينور فؤادك فيها ابن القيم " اجتمعت الكتب السماوية كلها في القرآن وتجمعت معاني القرآن في الفاتحة وتجمعت كل ذلك في " إياك نعبد وإياك نستعين " (المدارج ١/ ٦٥)..
ثم الدعاء بثمرة الهداية وهي الاستقامة التي تكشف عن نقابها بنعيم الجنة ومن قبل ذلك إرضاء الله الواحد القهار سبحانه ..
واسمع يا من تسمع " قد أوحي الله تعالى إلى **داود** عليه السلام : يا داود إن أسلمت لي ما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لي ما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد " (تنبيه المغترين / ١٩٢) ..
قفة مع" إياك نعبد وإياك نستعين "..
لماذا قدم العبادة على الاستعانة ؟!
" فالاستعانة : هي الثقة بالله والاعتماد عليه.. وسبب التقديم.. أن العبادة غاية العباد التي خلقوا لها والاستعانة وسيلة لها لأن العبادة تتضمن الاستعانة ..فكل عابد لله عبودية تامة مستعين به ولا ينعكس به لأن صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به على شهواته فكانت العبادة أكمل وأتم " العبادة " شكر نعمته عليك والله يحب أن يُشكر والإعانة فعله بك وتوفيقه لك فإذا التزمت عبوديته ودخلت تحت رقها أعانك عليها فكان التزامها والدخول تحت رقها سببًا لنيل الإعانة وكلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة من الله له أعظم " (المدارج بتصرف ١/ ٧٨ــ٧٩)
اعتراف .. أنا عبد الله
وهو ما دعا حجة الإسلام ليقف جانبك ويرشدك " بقولك " إياك نعبد " .. فيقول " أنا عبد الله ، فإنه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صادقًا ولو طولب يوم القيامة بالصدق في قوله أنا عبد الله لعجز عن تحقيقه فإنه إن كان عبدًا لنفسه أو دنياه أو عبدًا لشهوته .. لم يكن صادقًا في قوله ، وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام : يا عبيد الدنيا ! وقال (ص) " تعس عبد الدنيا ، تعس عبد الدرهم ، وعبد الحلة وعبد الخميصة " البخاري.. كل من تقيد قلبه بشيء فهو عبدًا له " (الإحياء ٥ / ٣٨) ..

= مالك الملك

يقول تعالى " قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير * تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من لحى وترزق من تشاء بغير حساب "
نداء خاشع
في تركيبته إيقاع للدعاء .. وفي ظلاله المعنوية روح الابتهال .. استجاشه لمشاعر العباد في رفق وإيناس من ربهم أن الملك بيد من ؟! الله .. وشيئًا فشيئًا يتضح لك يد الله المحركة لهذا السكون وهذه الحياة .. فتقلب في قلبك مواضع الكبر والتكبر المظلم لتستنير بضياء التذلل له والخضوع لعظمته وكأنك تتنفس الصبح في غاية الظلام الذي أحلك على عينيك ولم تذق طعم هذه العبادة التي يهبها لأحبابه وأهل خاصته .. إنها لمسة حانية من القرآن عساها ترد بصرك .. وحين عاش هذه المعاني شهيد القرآن .. قال " توحي إليه أن الله ربه قد خلق الكون كله ليكون له صديقًا ومساعدًا متعاونًا وأن سبيله إلى كسب هذه الصداقة أن يتأمل فيها ويتعرف عليها ويتعاون وإياها ويتجه معها إلى الله ربه وربها " (في ظلال القرآن ١/٢٥)

الأيام دول

ويعلق **ابن القيم** " يقلب الدول فيذهب بدولة ويأتى بأخرى والرسل من الملائكة بين صاعد إليه بالأمر ونازل من عنده به وأوامره متعاقبة على تعاقب الآيات نافذة بحسب إرادته فما شاء كان كما يشاء فى الوقت الذى يشاء على الوجه الذى يشاء من غير زيادة ولا نقصان ولا تقدم ولا تأخر وأمره وسلطانه نافذ فى السماوات وأقطارها وفى الأرض وما عليها وفى البحار وفى الجو وفى سائر أجزاء العالم وذراته يقلبها ويصرفها ويحدث ما يشاء " (الوابل الصيب /١٢٦)..

وكان أحد العابدين يردد تلك الآيات وقت الغروب ومرددا " اللهم إن هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لنا "..

استنباط منظور

حين ينقاد القلب خاشعا والفكر مستنيرا واللسان مرددا قل اللهم مالك الملك .. مالك الملك لا أحد غيرك ولا مسيطر سواك أنت وحدك يا رب تؤتى الملك من تشاء وتوسع على من تشاء وترزق من تشاء وتهب من تشاء .. سبحانك .. وتنزع الملك ممن تشاء .. تفقر بعد غنى .. تخفض بعد رفعة .. تذل بعد عزة .. تضغف بعد قوة .. تعز من تشاء ..وترفع قدر من تشاء وتسطر التوفيق لمن تشاء .. وتضع القبول لمن تشاء .. وتذل من تشاء .. وتمنع من تشاء .. وتفقر من تشاء .. بيدك الخير .. إنك على كل شىء قدير .. القدرة الكاملة والعظمة ثم تختم المعانى بغاية الرضا والتسليم فيحس الإنسان وكأنه واقف على ساحل الدنيا يبحث عن من يناديه ويفسح له الطريق المطلقة .. فاللهم أكرمنا ولا تهنا .. وأعزنا ولا تذلنا .. وارفعنا ولا تضعنا .. وآثرنا ولا تؤثر علينا ..

المعادلة الموزونة

يشرحها **ابن الجوزى** "

من لم يعتز بطاعة الله لم يزل ذليلا

ومن لم يستشف بكتاب الله لم يزل عليلا ..

ومن لم يستغن بالافتقار إلى الله فهو طول الدهر فقيرا ..

وممن لم يتحقق بالعبودية لله فهو لكل شىء عبد

ومن لم يتترس (يلتزم) بترس التوكل على الله أصابه كل رام

ومن لم يحتم بحماية الله لم يحمه سواه "(التذكرة فى الوعظ /٢٦-٢٧)

**- كن فيكون

يقول تعالى" إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون "

الدليل واضح

" سبحانه كل شىء هالك إلا وجهه وكل ملك زائل إلا ملكه وكل فضل منقطع إلا فضله لا يطاع إلا بإذنه ورحمته ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته يطاع فيشكر ويعصى فيتجاوز ويغفر كل نقمة منه عدل وكل نعمة منه فضل أقرب شهيد وأدنى حفيظ حال دون النفوس وأخذ بالنواصى وسجل الآثار وكتب الآجال .. أحق من ذكر وأحق من عبد وأحق من حُمد وأحق وأولى من شُكر وانصر من ابتغى وأرأف من ملك وأجود من سئل وأعفى من قدر وأكرم من

قصد وأعدل من انتقم حلمه بعد علمه وعفوه بعد قدرته ومغفرته عن عزته ومنعه عن حكمته وموالاته عن إحسانه ورحمته " (الوابل الصيب /١٢٩)..

إنها الإرادة المطلقة والقدرة الفائقة .. ونطاق المشيئة التى لا تقف لها قوة ولا يقوم فى طريقها عائق وقبل أن يسدل الستار وينتهى المشهد فاسمع الحبيب (ص) وهو يدعوا " **اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك** "(صحيح : رواه مسلم والترمذى وابو داود والطبرانى عن ابن عمر انظر الحديث رقم ١٢٩١صحيح الجامع)

**= الاستفهامات الربانية..

رسائل سورة الضحى

تتلمس جوانب القلب وكأنها في حوار معك تعترف بتقصيرك وفقرك إلى الخالق .. تتذلل بها إلى العزيز ليعطيك من عزه .. ولعل هذه الاستفهامات الربانية تهيأ لقلبك الطريق كى تتفهمها وتعقلها " ولسوف يعطيك ربك فترضى ".. أليس كذلك ؟! .. أجب بنفسك وأعطها الفرصة كى ترسم الإجابات .. ألم يجدك يتيما فأوى .. ووجدك ضالا فهدى .. من الذى هداك .. من الذى أكرمك وجعلك مسلما .. ووجدك عائلا فأغنى ..ألم يغنك الله بفضله ؟ ألم ييسر لك قوت عيشك ؟ أليس هو الذى يوسع رزقك مع تقصيرك فى حقه ؟ ومع هذا لم يغلق باب كرمه أو يسد زوائد رحمته .. بل ولك منه وصيه .. فأما اليتيم فى تقهر .. وأما السائل فلا تنهر ..

فحدث ولا حرج ..

وكأن الله يقول لك " تحدث عن جميلنا أخبر الناس بأيادينا أعلن نعمنا عليك فالجحود خطيئة والتنكر سيئة وكتمان المعروف لؤم .. فالله يلوم الحاسدين من عباده ويقول " يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها ".. فهم يعلمون أنه مانح النعمة ولكنهم يتنكرون للجميل وينسون المعروف ..

وورد فى الأثر " إن القلوب جبلت أن تحب من أحسن إليها " فعلق معاذ الرازى " يا عجبا ممن لا يرى محسنا إلا الله كيف لا يميل إليه بالكلية "..

وقال (ص) " **إذا أتاك الله مالا فلير عليك فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنا ولا يحب البؤس ولا التباؤس** " صحيح .. وقال **الحسن** (إن الإنسان لربه لكنود) أى " يعد المصائب وينسى النعم "..

وقال بعض السلف " ويحك يا بن آدم والله لو كساك رجل ثوبا لرأيت إحسانه وعرفت جميله فكيف بمن كل نعمه وصلتك فمن عنده وكل خير لديك فمن لدنه "..

فسبحان من أعطى الجزيل ووهب الجليل

ورضي بالقليل وستر القبيح ..

= إقرار وشهادة واعتراف**

دعاء صباح مساء

كان من دعاء الحبيب (ص) صباحا ومساء " **اللهم ما أصبح (أمسى) بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر على ذلك فقد أدى شكر يومه ؛ ومن قال مثل ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته** " (انظر الحديث رقم ٥٧٣٠ ضعيف الجامع)

... إقرار وشهادة واعتراف بأن كل النعم محض فضل من الله الواحد الأحد ذاقوا طعم ذلهم فأعزهم ..أحسوا بفقرهم فأغناهم..أبصروا بضعفهم فقواهم.. سجدوا لله شكرًا فرفعها بالرضا عنهم.

الخير من الله كثير .. كثير

ويجول الفكر مع **عون بن عبد الله بن عتبه** " الخير من الله كثير ولكن لا يبصره من الناس إلا اليسير وهو للناس من الله معروض ولكن لا يبصره من الناس من لا ينظر إليه ولا يجده من لا يبتغيه ولا يستوجبه من لا يعلم به .. الم تروا إلى كثرة نجوم السماء فإنه لا يهتدى بها إلا العلماء " (مع العارفين /٨٩) .. وكانت وصيه المصطفى (ص) لابنته **فاطمة** " **ما يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به أن تقولى إذا أصبحت وأمسيت : يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين** " (حسن : رواه النسائى والحاكم عن أنس انظر الحديث رقم ٥٨٢٠صحيح الجامع)

لا تحزن

" نعم تغمرك من فوقك ومن تحت قدميك .. صحة في بدن أمن في وطن غذاء وكساء وهواء وماء .. لديك الدنيا وأنت ما تشعر، تملك الحياة وأنت لا تعلم .. عندك عينان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وهل هي مسألة سهلة أن تمشي على قدميك وقد بترت أو شلت أقدام ؟! وأن تعتمد على ساقيك وقد قطعت ومرضت سوق ؟! أحقير أن تنام ملء عينيك وقد أطار الألم والهم نوم الكثير ؟! وأن تملأ معدتك من الطعام الشهي وأن تكرع من الماء البارد وهناك من عكر عليه الطعام ونغص عليه الشراب بأمراض وأسقام ؟! " (لا تحزن / ٣٤)..

مزيدا من الخطاب

يا قليل الشكر .. يا ضعيف الرضا

تفكر في سمعك وقد عوفيت من الصمم ؟! وتأمل في نظرك وقد سلمت من العمى والمح عقلك وصلاحه للتفكير .. أتريد في بصرك وحده كجبل أحد ذهبًا ؟! أتحب بيع سمعك بوزن أطنان فضة ؟! هل تشتري قصور الدنيا بلسانك فتكون أبكم ؟! هل تعطيني يدك مقابل عقود من اللؤلؤ والياقوت ؟! إنك في نعم عميمه وأفضال جسيمة ولكنك لا تدري ولا تكونوا " يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها " .. فكر في نفسك وأهلك وبيتك وعافيتك وأصدقائك " وكان فضل الله عليك عظيمًا " ..

رجاء يحيى أحيا

استشعر هذه المعاني **يحيى بن معاذ** .. فرفع أكف الضراعة وانشرح لسان قلبه هاتفًا " إلهي يكاد رجائي لــك مــع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص وكيف أصفيها وأحررها مــن الرياء وأنا بالآفات معروف وأجدني بالذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف ..

أحلى العطايا في قلبي رجاؤك

وأعذب الكلام على لساني ثناؤك

وأحب الساعات إلي ساعة يكون فيها لقاؤك " ..

((وجـرعات شــافية))

الجرعة الأولى .. أجب ربك

يقول الحق سبحانه " **يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ، فيقول : أما استطعمك عبدي فلان أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ، وكيف أسقيك يا رب وأنت رب العالمين فيقول : أما استسقاك عبدي فلان أما علمت أنك لو أسقيته لوجدت ذلك عندي ، يا ابــن آدم مرضت فلم تعدني ، وكيف أعودك يا رب وأنت رب العالمين فيقول : أما مرض عبدي فلان أما علمت أنــك لــو عدته لوجدتني عنده** " صحيح ..

ولعل اندراج الألفاظ الأخيرة " **لوجدت ذلك عندي** " واللفظ الأخير " **لوجدتني عنده** " .. يلوح للعقل بأن أضعف ما يكون العبد أمام نفسه وهو مريض فلا يردد لسانه إلا " يا رب ".. ولا يستنجد بأحد إلا بقوله " **يا رب** " وهنا تتقشع ظلمات التجبر والجحود لهذا السبب القهري الذي ربما يرسله الله للإنسان لكي يعرف قيمته .. التي أنستها إياه الدنيا والمال والحياة والشهوة .. وهنا تهبط معاني العبودية فتترجم على الجوارح .. وهنا يلوح الثواب " **لوجدتني عنده** " فوالله ..

ما أجمل العافية ما أغلاها .. ما أثمنها عند من يقدرها حق قدرها .. ما أقل شكرك لخالقك على العافية مــا أشــد تقصيرك .. ما أقسا قلبك .. ما أشد إنكارك .. هل هو أمر سهل أن تمشى على قدميك فى عافية وتستنشق الهــواء وتشرب الماء وتأكل لذيذ الطعام وتملأ العين بالنوم الهنيء وغيرك نغص عليه ذلك ..

فاجعل همتك مصروفة لحبيبك محمد (ص) ومن والاه وسار على نهجه .. واقتفى أثره ..

الجرعة الثانية.. سماع فتعلم ففرج قريب

يقول (ص) " **ما أصاب عبدًا من هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فــي حكمك عدل في قضاؤك أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقــك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب غمي ..إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحا .. قالو يا رسول الله أفلا نتعلمهن ؟ قال : بلى ينبغي لمن ســمعهن أن يتعلمهن** " صحيح ..

حين تهجم سحب الأحزان وتتكاتف قيود الغموم والهموم فلا تجد مخرجا وتضيق عليك نفسك وكأن روحك تتصاعد من حلقك وتكاد الظروف أن تخنقك فتتنهد أنفاسك بصعوبة وكأن الدنيا ولتك ظهرها وانسحب الناس مــن حولــك وصرت وحيدا لا مؤنس ولا مهون .. فيفتح لك الرب طاقة الفرج وفسحة الأمل ويبثك الطمأنينة ويمد لك يد العون فتخر له ساجدا ممدا يدك لاستقبال تلك الجرعة فيردد اللسان تلك الكلمات ويعيشها القلب ..

فما هو إلا قليل

وترى سحائب الفرحة وأنوار الاطمئنان تمكنت من القلب ورفرت معها الروح ..

وكما يقول العامة " الشكوى إلى الناس مذلة "..

وها أنت قد شكوت لمن سيزح عنك ويرأف بحالتك .. واتخذها صنعة.

طوبى لمن أنصف ربه

ولعل **ابن القيم** تلمح آثار هذه الكلمات فأراد الإفادة لعلك تتعظ " طوبى لمن أنصف ربه فأقر بالجهل في علمه والآفات في علمه والعيوب في نفسه والتفريط في حقه والظلم معاملته فإن أخذه بذنوبه رأى عدله وإن لم يؤاخذه بها رأي فضله ، وإن عمل حسنة رآها من منة وصدقه عليه ، فإن قبلها فمنة وصدقة ثانية وإن ردها فلكون مثلها لا يصلح أن يواجه به وإن عمل سيئة رآها من تخليه عنه وخذلانه له وإمساك عصمته عنه وذلك من عدله فيه فيرى في ذلك فقره إلى ربه وظلمة إلى نفسه فإن غفر له بمحض إحسانه وجوده وكرمه ..ومن عظم وقار الله في قلبه أن يعصيه وقره الله فى قلوب الخلائق أن يذلوه " (الفوائد – ابن القيم)

أخي ..

ارجع الله واطلبه من عينك وسمعك وقلبك ولسانك ولا تشرد عن هذه الأربع فما رجع من رجع إليه إلا بتوفيقه وما شرد من شرد إلا بخذلانه ..

فالموفق : يسمع ويبصر ويتكلم ..

والمخذول : من اتبع نفسه وهواه ..

<u>الجرعة الثالثة .. خذ خطوة..والباقى عليه</u>

يقول تعالى في الحديث القدسي " **يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم ، يا عبادي : إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي : إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه** " (انظر صحيح مسلم)

أراك تعيد قراءة الكلمات الربانية

نحن المسيئون ومن ذنبنا	إليك يارب الورى تائبون
فلا تؤاخذنا بأفعالنا	إنا على أنفسنا مسرفون
قد مسنا الضر ولا راحم	سواك يا من لا تراه العيون
لا نشتكى إلا إلى راحم	يطمع فى رحمته المذنبون

وجهة نظر

وبنفس الروح وتلك المسكنة استنبط **ابن المبارك** رؤيته فكتبها " إن البصراء لا يأمنون من أربع خصال :

ذنب قد مضى لا يدرى ما يصنع الرب فيه

وعمر قد بقى لا يدرى ماذا فيه من المهلكات

وفضل قد اعطى لعله مكر واستدراج وضلالة وقد زينت له فيراها هدى

ومن زيغ القلب ساعة أسرع من طرفة عين يسلب دينه وهو لا يشعر " (انظر شعب الايمان للبيهقى : ٥٠٦/١)

ابحث عن قفل السماء

رأى **شفيق بن إبراهيم** حالنا فقال " أغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء :

اشتغالهم بالنعمة عن شكرها

ورغبتهم في العلم وتركهم العمل ،

والمسارعة في الذنب وتأخير التوبة ،

والاغترار بصحبة الصالحين وترك الإقتداء بهم ،

وإدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها ،

وإقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها " (المستطرف – الابشيهى)..

الجرعة الرابعة .. تسليم قلب

عن **أبى العباس عبد الله بن عباس** قال : كنت خلف رسول الله (ص) يوما فقال : **يا غلام إنى أعلمك كلمات ؛ احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله تعالى لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله تعالى عليك ،، رفعت الأقلام وفت الصحف** " (صحيح : رواه أحمد الترمذى والحاكم عن ابن عباس انظر الحديث رقم ٧٩٥٧ صحيح الجامع)

وهل جزاء الاحسان الا الاحسان

احفظ الله .. احفظ حدوده .. حقق أوامره .. اجتنب نواهيه .. احفظ نفسك عن معاصيه .. حصن قلبك عن السخط على قضائه .. ولذل قال بعض السلف " من اتقى الله فقد حفظ نفسه ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه والله غنى عنه ومن عجيب حفظ الله لمن حفظه أن يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظة له من الأذى .. كما جرى لسفينة مولى النبى (ص) حيث كسر به المركب وخرج إلى جزيرة فرأى الأسد فجعل يمشى معه حتى دله على الطريق فلما أوقفه عليها جعل يهمهم كأنه يودعه ثم رجع عنه " (اسناده حسن)..

وابن رجب يشرح

مقصد الوصية " الاستعانة بالله دون غيره من الخلق فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول وهذا تحقيق معنى قول لا حول ولا قوة إلا بالله .. فإن المعنى لا تحول للعبد من حال إلى حال ولا قوة له على ذلك إلا بالله وهذه كلمة عظيمة وهى كنز من كنوز الجنة فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله فى فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات كلها فى الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله عز وجل فمن حقق الاستعانة عليه فى ذلك كله أعانه " (جامع العلوم والحكم /٣١٦)

وهذا مصداق قوله (ص) " **احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز** "(صحيح : رواه مسلم وأحمد وابن ماجه عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٦٦٥٠ صحيح الجامع)

ولأن قلوب السلف كانت حاضرة وآذانهم صاغية فرفعوا اصواتهم متعجبين فكان من كلامهم " يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك وعجبت لمن يعرفك يستعين بغيرك " (جامع العلوم والحكم /٣١٧)

وقبل السلام

حديث مرعب

حذر الحبيب (ص) " **شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام و يلبسون ألوان الثياب و يتشدقون في الكلام** "(حسن : رواه ابن ابى الدنيا عن فاطمة الزهراء انظر الحديث رقم ٣٧٠٥ صحيح الجامع)

شرار أمتى .. من ولدوا أغنياء .. فألهاهم المال والتكاثر عن ذكر الرب وعبادته

شرار أمتى.. من لا اعتناء لهم به إلا أحدث صيحات الموضة والجديد فى عالم الأزياء

شرار أمتى.. من بالسيارات ليلا فى الطرقات يمرحون ولاصطياد الفتيات الساقطات يسعون.

شرار أمتى.. من نسوا ربهم وتاهوا عن حبيبهم (ص) وولوا كتاب الله ظهورهم

شرار أمتى.. من على الانترنت مقيمين .. وعلى الشات الفاجر مداومين .. وبالمواقع الإباحية فرحين

شرار أمتى.. من يمشون فى الأرض مرحا .. وإذا خاطبهم المساكين رفعوا رقابهم مترفعين عن رد حتى السلام

الهي فلا تـهتك ذنوبا سترتها   فأنت رءوف بالعبـــاد رحيـــم
الهي ولا تحـــرق بنار جهـــنم   نفوسا رجت عفوا وأنت كريم
الهي وأدخلنا مع الزمرة التى   مثوبتها يوم الجـــزاء عظيـــم

همسة :

يقول **بن الجوزى** " المذنب يأوى إلى الذل كما يأوى الطفل إلى الأبوين بكى آدم على تفريطه حتى جرت الأودية من دموعه كان كلما ذكر الجنة قلق وكلما رأى تصعد يحترق " (المواعظ /٧٨)

الجولة الرابعة ..

عــلامـــات .. دلائـــــل .. أمارات

ضربة البداية

وأهديك كلمات **لابن القيم** " بين العمل وبين القلب مسافة وفى تلك المسافة قطاع تمنع وصول العمل إلــى القلــب فيكون الرجل كثير العمل وما وصل منه إلى قلبه محبة ولا خوف ولا رجاء ولا زهد فى الــدنيا ولا رغبــة فــى الآخرة ولا نور يفرق بين أولياء الله وأعدائه وبين الحق والباطل ولا قوة فى أمره فلو وصل أثر الأعمال إلى قلبه لاستنار وأشرق ورأى الحق والباطل وميز بين أولياء الله وأعدائه "..

لأن مثل هذه القلوب مغيبة فى مراتع تضمحل فيها الرؤية وتتكاثف فيها السحب وتتأثر بصدأ الانشغالات ..

أما إذا أشرق في القلب منابع الهداية وابتسامة العبادة .. لأنه انتقل من دنيا الناس إلى دنيا الله ..

من عبودية غير الله إلى عبودية الله ..

من طاعة غير الله إلى طاعة الله ورسوله ..

وعبادة الذل والانكسار هى منهج نبيك وغرسه فى صحابته ومن سار على نهجه ..

العلامة الأولى ..

عبـــد شكــــــور

ضربة البداية

إنما أمراض القلوب من الجحود .. وأصل العافية أن تشكر على الموجود ..

ترانيم الشاكرين تعمل فى أمراض الفؤاد ما يعمله العسل فى علل الاجساد

مواعظ الحمد لأمراض القلوب شافية

وأدلة الشاكرين لطلب الهدى كافية

فثمارهم فى أشجارهم وافرة .. وقلوبهم من العيوب طاهرة

ووجوههم بأنوار القبول ناضرة ..

وعيونهم لربهم ناظرة ..

وقد حازوا ربح الدنيا وفوز الآخرة

** <u>مصطلحات ومفاهيم</u>

الشكر .. معنى

" هو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف وقد شكره يشكره شكرا وشكرانا أيضا .. ويقال : شكره وشكر له وهو باللام أفصح والشكران ضد الكفران وتشكر له مثل شكر له " (مختار الصحاح) ..

وقال **ابن عباس** " الشكر هو أداء الطاعات فى الظاهر والباطن " وقال بعض العلماء " إن الشكر تعظيم المنعم على مقابلة نعمته على حد يمنعه عن جفاء المنعم وكفرانه " (منهاج العابدين / ١٨٢)..

وقال أهل العلم " حقيقة الشكر هو الاعتراف بالعجز عن الشكر "

وذات يوم دخل الحبيب (ص) فرأى كسرة ملقاة فمسحها وقال " **يا عائشة حسنى جوار نعم الله عز وجل فإنها قلما نفرت عن أهل بيت فكادت أن ترجع إليهم** " (رواه ابن ابى الدنيا والبيهقى وابن ماجه).. وكان من دعاءه " **الحمد لله على ما ساء وسر** " (اسناده صحيح)..

أوليتنى نعمًا أبوح بشـــــكرها　　　وكفيتنى كل الأمـــور بأسرها
لأشكرنك ما حييت وان مت　　　فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

أنواعه وفنونه :

شكـــر القـــلب : قصد الخير وإضماره لطاقة الخلق .

شكر اللســـان : إظهار الشكر بالتحميدات الدالة .

شكر الجوارح : استعمال نعم الله فى الطاعة والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ..فشكر العين حفظها عن النظر الحرام ..ولكل عضو شكر لابد من تأديته " ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه "..

أشاكر أنت أم شكور ؟

الشاكر : يشكر على الوجود.　　　الشكور : يشكر على المفقود.

الشاكر : يشكر على النفع.　　　الشكور : يشكر على المنع .

الشاكر : يشكر على العطاء.　　　الشكور : يشكر على البلاء

** <u>كنز فى السماء</u>

لما نزل قوله تعالى " **الذين يكنزون الذهب والفضة** "

قال **عمر** : أى المال نتخذ ؟ .. لأنه حين قرأها تبادر الذهن إلى جمع الأموال وتكديس الخزانـــة تأمينـــا لمســـتقبل الأولاد وحرصا على رضا الزوجات .. فيلغى النبى فكرتك وفكرة عمر أن الكنز كلما غلا ثمنه وزاد سعره زهـــد فيه كثير من الناس فنقل مجرى الحوار من ذكر الدنيا إلى ذكر الآخرة .. وتحول الطريق من دنيا الناس إلى دنيـــا الله .. فقال (ص) " **ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة** " (صحيح : رواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن ثوبان انظر الحديث رقم ٥٣٥٥ صحيح الجامع)

لسانا ذاكرا :

لا ينطق بغير ذكر ربه لفظة ولا يسهو عنه لحظة .. واللسان الذاكر يصب فى منابع القلب الشاكر .. قلب تحيطـــه النعمة فيسجد سجدة خاشعة رافعا رأسه بالحمد والشكر .. وإذا التهمه البلاء اطمئن بالتسليم والصبر .. وصدق من قال " إن استطعت أن تجعل كنزك فى السماء حتى لا يستطيعه السراق ولا يأكله السوس فافعل "

وأنت الآن ..

هل تستطيع أن تجعل كنزك فى السماء ؟ إذن فافعل .. حين ذاك تنتزع النفس من براثن الفتن والانشغالات وتنقـــاد للخالق العلام .. فذلك القلب يطل النور من شرفاته وينضح بالطمأنينة من شتى أركانه صدق فيه قول الحبيب (ص) " **إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح** ؟ قالوا : وما علامة ذلك يا رسول الله ؟ قال " **الإنابـــة إلـــى دار الخلـــود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله** " الترمذى .. فهل ترى لهذه العلامات أثرا فى قلبـــك ؟ أو أمارات فى نفسك ؟ أو رسما فى روحك ؟ ويا حبذا لو كان هذا قلبك ..

استبيان هام

حين أدرك النبى (ص) " **ألهاكم التكاثر** " فقال النبى (ص) " **وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت ؟ أو أكلت فأفنيت ؟ أو لبست فأبليت ؟** "صحيح ..

أيها الناس أين الذين جمعوا الأموال ولم يغنهم ما جمعوا ؟ أما كلهم فى القبور جمعوا ؟ أين الذين قطعوا أيامهم فى الشهوات وما شبعوا أتراهم إليها رجعوا ؟ أين الذين غرتهم الدنيا خذلوا والله وخدعوا .. أين الذين نصبت شباك الغفلة حتى وقعوا نزل بهم مفرق الجماعات فذلوا وخضعوا ..وكلهم ينادى بلسان الحسرات : يا ليتهم سمعوا .. يا ليتهم فهموا وعملوا .. ارحموا من صار رهينا فى التراب بلا عمل ينحيه ..

ولما دقق ابن مسعود النظر أبصر أهمية الشكر فأعلنها " الشكر نصف الإيمان ".. وقال (ص) " **ومـــن لا يشـــكر القليل لا يشكر الكثير ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله** " (حسن : رواه البيهقى فى الشعب عن النعمان بن بشـــير انظر الحديث رقم ٣٠١٤ صحيح الجامع)

إذا أنت لم تزدد على كل نعمة　　　　لموليكها شكرا فلست بشاكر

** أرباح ومزايا

حظك منه :

يوضح لك **الجنيد** اذ كان عند **السرى السقطى** يقول وكنت ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فنادانى وسألنى فقال : يا غلام ما الشكر ؟ فقلت : " **أن لا تعصى الله بنعمه** "

إذا رزقك عينان تبصران .. فلا يكن تصريفه إلى العبث والنظر إلى كل ما هو حرام

إذا وهبك عقلا منيرا .. فلا تطغيه بالتفكير فى الذنوب والأوزار

إذا منحك مالا وفيرا .. فلا تستعن به على معصيته ..

ومن الواقع أقول :

شراء ملابس لا تليق بالشاب المسلم أو الفتاه المسلمة وان كان للفتاه نصي الأسد من تلك الإشارة .. وشراء كارت الدش الذى يعرض كل ما لا يرضاه دين أو يسمح به خلق أو حتى تراه إنسانيه .. الذهاب إلى أماكن اللهو والفجور وتظل من شهواتها مسرور ولا تدرى متى تنتظرك الحفر والقبور.. أن ينفقها بكف التفريط فلا يخرج زكاتها أو ينقيها بصدقة تأتى حامله لواء الشفاعة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .. وفى قوله تعالى " سنستدرجهم من حيث لا يعلمون " قال **سفيان** " نسبغ عليهم النعم ونمنعهم الشكر ".. وقال أهل العلم " كلما أذنبوا ذنبا أُحدثت لهم نعمة "..

والكلام كثيررررر ..

نصيحة غالية ووصية ثمينة

ونصيحتى إليك هى نصيحة النبى لمعاذ بن جبل " **إني لأحبك فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** " (صحيح : رواه أحمد والنسائى والحاكم وابو داود وابن حبان عن معاذ بن جبل انظر الحديث رقم ٧٩٦٩ صحيح الجامع)

أعنى على ذكرك .. يتحرك اللسان ليزيل زلاته وآثامه فيصير لسانا ذاكرا ..

أعنى على شكرك .. حتى يتحرر القلب من أسر المادة .. وزلة إتباع الخلق .. وقيود الشهوات .. فينتفض انتفاضة الأسد الحبيس ليقتل ران ذنوبه التى حجبته تكرارا ومرارا عن رؤية صراط الله ربه .. وأخذته بمنأى عن درب رسوله .. فيشكر ويهدا ويطمئن ..

وحسن عبادتك : فإذا كان اللسان ذاكرا والقلب شاكرا فالجوارح تستحى وما تجد بدا إلا بحسن العبادة وجمال الأداء وحلاوة الروح .. وتتساق فى خشوع وخضوع .. من ذاك وفقط يتحقق فيه قول **الإمام ابن سيرين** " إذا أحب الله عبدا جعل له واعظا من قلبه " (حلية الاولياء)

واعظا يحثه افعل .. وواعظا يصرخ فيه لا تفعل ..فيرى الأمور بعدسة ربانية مكبرة تزح كل الظلمات وتمحو تزين السيئات وتبزغ الحقيقة بلا تلوث ضمير أو وهج نفس أو إغواء شيطان أو تأثير شهوات .. فكل ما يرضى الرب يدخل فى بؤرة القلب فتتساق الجوارح ويقود اللسان .. وكما قال (ص) " **لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه** " رواه أحمد ..

إذا كان شكرى نعمة من الله نعمة ... علىَ له فى مثلها يجب الشـــــكر

فكيف بلوغ الشـــكر إلا بفضـله ... وان طالت الأيام واتصل العمر

الأوائل .. حامدون .. صابرون .. شاكرون

فى الخبر الصحيح " **أول من يدعى الى الجنة الحامدون الله تعالى على كل حال** "

لأنهم أيقنوا النظرية " لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا "

جف القلم .. رفعت الصحف .. قضى الأمر ..كتبت المقادير .. قدرت الآجال ..

فمهما أضج القلب الأزمات ومهما أدميت العين من النكبات ومهما حلقت الكربات ظلمات بعضها فوق بعض ..

فلا يكن حالك إلا صبرا يا نفس صبرا .. بعد كل عسرا يسرا .. وعقب الضيق فرجا ..

ووراء السحب السود فجرا ..فتهدأ الأعصاب .. وتسكن بلابل النفس .. وتذهب وساوس الصدر ..

لأن البارى قدر .. والقضاء قد حل .. والاختبار هكذا .. فتذلل لربك وسبح بحمده ..

ولا تظن انه كان بوسعك إيقاف الجدار أن ينهار .. وحبس الماء أن ينسكب ..

وحفظ الزجاج أن ينكسر .. وليكن الشعار " قدر الله وما شاء فعل "..

فيا أيها الصابرون .. أيها الحامدون .. أيها الشاكرون .. أيها المصابون ..

ما فاتكم شيء وأنتم الرابحون .. فقد بعث ربكم برسالاته ..

من نعم أو بلاء .. غنى أو فقر .. صحة أو مرض .. أفراح أو أتراح .. مخاوف أو مآمن ..

ولكن بين أسطرهم اللطف والعطف .. الثواب والجزاء ..الطمأنينة والسكينة .. السرور والحبور ..

كانوا أول الداخلين ..وأقول لمن سطرت السطور فى قلوبهم الرضا والقبول ..

ذا افتقدونا عند الباب .. فانتظرونا هناك ..

عسانا نلحق بالركاب .. ولا تنسونا صالح الدعاء ..

** نجوم سطعت فى سماء الشكر**

* نوح عليه السلام :

اثني الله عليه " ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ".. ويعلق محمد بن كعب " كان نوح إذا اكل قال : الحمد لله .. وإذا شرب قال : الحمد لله وإذا لبس قال : الحمد لله وإذا ركب قال : الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا " (مواعظ الأنبياء /٢٤).

* أيوب عليه السلام :

قال الحسن البصرى " كان أيوب عليه السلام كلما أصابته مصيبة قال : اللهم أنت أخذت وأنت أعطيت مهما تبقى أحمدك على حسن بلائك ..وقيل : لما ابتلى الله عز وجل أيوب بذهاب المال والولد والأهل فلم يبق له شيء أحسن من اذكر والحمد لله رب العالمين ثم قال : أحمدك رب الأرباب الذى أحسنت إلى قد أعطيتنى المال والولد فم يبق من قلبى شعبة إلا قد دخله ذلك فأخذت كله وفرغت قلبى فليس يحول بينى وبينك شيء فمن ذا تعطيه المال والولد فلا يشغله حب المال والولد عن ذكرك لو يعلم إبليس بالذى صنعت إلى حسدنى !!(مواعظ الأنبياء /٣٩) ..

* إبراهيم عليه السلام :

قال تعالى " إن إبراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ؛ شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ".. وتحدث علامة الزمان فى هذه الآية قائلا " فأخبر عنه سبحانه بأنه امة اى قدوة يؤتم به فى الخير.. وانه قانت لله والقانت : هو المطيع المقيم على طاعته والحنيف : المقبل على الله المعرض عما سواه .. ثم ختم هذه الصفات بأنه شاكر لأنعمه فجعل الشكر غاية خليله " (عدة الصابرين)

* سليمان عليه السلام
قال الله على لسانه " قال رب أوزعنى أن اشكر نعمتى التى أنعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين "
* على بن أبى طالب
عن **الأصبغ بن نباته** قال : كان على إذا دخل الخلاء قال : باسم الله الحافظ المؤدى وإذا خرج مسح بيديه بطنه ثم قال : " يا لها من نعمة لو يعلم العباد شكرها " (الشكر /ابن أبى الدنيا / ١٢)
* أبى تيمية
عن **يونس بن عبيد** قال : قال رجل **لأبى تيمية** " كيف أصبحت ..قال : أصبحت بين نعمتين لا أدرى أيهما أفضل ذنوب سترها الله فلا يستطيع أن يعيرنى بها احد .. ومودة قذفها الله فى قلوب العباد لم يبلغها عملى " (الشكر/ ١٩)
* على زين العابدين
كان من دعائه بمنى " كم من نعمة أنعمتها على قل لك عندها شكرها ! ومن بلية ابليتنى بها قل لك عندها صبرى !
فيا من قل شكرى عند نعمته فلم يحرمنى ويا من قل صبرى عند بلائه فلم يخذلنى ويا من رأنى على الذنوب العظام فلم يفضحنى ولم يهتك سترى ويا ذا المعروف الذى لا ينقضى ويا ذا النعمة التى لا تحول ولا تزول صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لنا وارحمنا "
* حبيب بن محمد ..
كان عاصياً فسمع الموعظة فرق قلبه ودمعت عينه وتاب إلى الله وكان لديه أربعون ألف درهم فتصدق بهم على أربع مرات.. فتصدق الأولى وقال : أني اشتريت نفسي منك .. ثم الثانية .. وقال : هذا شكر لما وفقتني إليه ثم تصدق الثالثة .. وقال : وهذه صدقة إن لم يقبل الله الأولى والثانية ثم تصدق الرابعة ولم يبق معه شئ قائلاً : وهذا شكري على الثالثة !!. (كتاب التوابين)
* حمّال فقه المعنى
رأى **بكر بن عبد الله المزنى** حمالا عليه حمله وهو يقول الحمد لله استغفر الله .. فانتظرته حتى وضع ما على ظهره وقلت له : أما تحسن غير هذا ؟! قال : بلى أحسن خيرا كثيرا أقرأ كتاب الله غير ان العبد بين نعمة وذنب فأحمد الله على نعمة السابغة وأستغفره لذنوبى فقلت : الحمال افقه من بكر ..(عدة الصابرين /١٢٢)
* محمد بن واسع
وقليل منا بل كلنا لا يسمع عن هذا العابد العملاق في الدين والعلم ولعلك تتعرف أكثر عليه من خلال بلوغ عبادته لربه الذروة إذا " خرج له في رجله قرحة شديدة فقال له رجل من أصحابه .. والله إني لأرحمك من أجل هذه ، فرد **محمد** قائلاً : إن كنت تحبني يا أخي فاشكر الله تعالى معي الذي لم يطلعها في لساني أو في عيني أو في أذني أو تحت إبطي " (تنبيه المغترين / ١٩٣) ..
* أبو بكر المزنى
عمرو بن عثمان المكي يحكي لك : " ما رأيت أحدًا من المتعبدين في كثرة من لقيت بمكة المكرمة حرسها الله تعالى ولا أحدًا ممن قدم علينا في المواسم أشد اجتهادًا ولا أدوم على العبادة من **المزني** رحمة الله تعالى ولا رأيت أحدًا أشد تعظيمًا لأوامر الله تعالى منه وما رأيت أحدًا أشد تضييقًا على نفسه وتوسعه على الناس منه " (الرسالة القشيرية / ١٩٩ ــ ٢٠٠)

لقد ظهرت عليهم بركات العبادة .. وسطعت على محياهم آثار الهداية ..
وفاح من نفوسهم عبير الإيمان..
ألا من متبع ؟ ألا من مقلد ؟ ألا من مشارك ؟

ثلاث آيات .. فيهم الشفاء

الأولى : " وقليل من عبادى الشكور "

وعلى خطى الآية سار **سيد قطب** بحاسته الظلاليه يقول فيها " تقرير يكشف من جانب عن عظمة فضل الله ونعمته حتى ليقل القادرون على شكرها ومن جانب آخر على تقصير البشر فى شكر نعمه وفضله وهم مهما بالغوا فى الشكر قاصرون عن الوفاء فكيف إذا قصروا وغفلوا عن الشكر من الأساس ؟!.." (فى ظلال القران /٥/٢٨٩٩- بتصرف)

ويحكى لك قصة ظريفة لتدرك أكثر " كنا نجلس جماعة نحادث ونتجاوب وتنطلق ألسنتنا بكل ما يخطر لنا على بال ذلك حينما جاء قطنا الصغير يدور هنا وهناك من حولنا يبحث عن شىء وكأنما يريد أن يطلب إلينا شيئا ولكنه لا يملك أن يقول ولا نملك نحن أن ندرك ..حتى ألهمنا الله انه يطلب الماء وكان هذا وكان فى شدة العطش وهو لا يملك أن يقول ولا أن يشير وأدركنا هذه اللحظة شيئا من نعمة الله علينا بالنطق واللسان والإدراك والتدبير وفاضت نفوسنا بالشكر لحظة وأين الشكر من ذلك الفيض الجزيل " ..(السابق)

ويحكى لك قصة أخرى " كنا فترة طويلة محرومين من رؤية الشمس وكان شعاع منها لا يتجاوز حجمه حجم القرش وإن أحدنا ليقف إما هذا الشعاع يمرره على وجهه ويديه وصدره وبطنه وقدميه ما استطاع ولست أنسى أول يوم وجدنا فيه الشمس لست أنسى الفرحة الغامرة والنشوة الظاهرة على وجوه أحدنا وغى جوارحه كلها وهو يقول فى نغمة عميقة مديدة الله ! هذه هي الشمس .. شمس ربنا وما تزال تطلع .. الحمد لله "..(السابق)

فكم نبعثر فى كل يوم من هذه الأشعة ؟ وكم نسبح ونغرق فى نعم الله ؟ وكم نشكر هذا الفيض الغامر والذخر العامر المتاح المباح .. من غير ثمن ولا كد ولا معاناة ؟ وهل ستكن من القلة المعنية فى الآية ؟! " وقليل من عبادى الشكور " ..

الثانية : " لئن شكرتم لأزيدنكم "

يعلق عليها **ابن كثير** " لئن شكرتم نعمتى عليكم لأزيدنكم ولئن كفرتم النعم سترتموها وجحدتموها إن عذابى لشديد يسلبها عنهم وعقاب إياهم على كفرها وكما قال الحديث " إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه " (تفسير ابن كثير /٢٧٥/٤) ..

أخى .. أختاه :

إن شكرك لا يعود على الله عائدة وان إنكارك وجحودك لا يرجع على الله أثرة .. فالله غنى بذاته محمود بذاته لا بحمد الناس وشكرهم على عطاياه .. وإنما يتحقق صلاح الحياة بالشكر وتزكو النفوس بالاتجاه إلى الله وتستقيم بشكر الخير وتطمئن إلى الاتصال بالمنعم .. فلا تخشى نفاذ النعمة وذهابها ولا تذهب نفسه حسرات وراء ما يضيع أو يبيد .. فالمنعم موجود والنعم بشكره تزيد .. وهذا هو قلب العابد يرصد الزمن الدوار ليحمد مقلب الليل والنهار ويتفاعل بنعمة قادمة ويشيع نعمة ذاهبة ..

الثالثة : وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها

روى أن بعض الفقراء شكا فقره إلى بعض أرباب البصيرة واظهر شده اغتمامه بذلك .. فقال له : أيسرك انك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟

قال : لا ..

قال : : أيسرك انك اخرس ولك عشرة آلاف درهم ؟

قال : لا ..

قال : أيسرك انك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا ؟

قال : لا ..

قال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم ؟

قال : لا ..

قال : أما تستحى أن تشكو مولاك ولك عنده عروض بخمسين ألفا ؟!! (ففروا إلى الله /٢٣٦)

** ترانيم الشاكرين :

*** ابن القيم يقيم**

كان ابن القيم منهم فقسمهم " أحدهما : اعترافه بنعمة الله عليه ؛ الثانى : الثناء عليه بها ؛ الثالث : الاستعانة بها على مرضاته " ..

*** الحمد لله بالإسلام**

وذات يوم سمع النبى (ص) رجلا يقول : الحمد لله بالإسلام ".. فقال : إنك لتحمد الله على نعمة عظيمة " أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الشكر .. وأيقن بذلك عبد الملك بن مروان فكان يسمعه ثور بن خالد بن معدان كثيرا ما يقول " ما قال عبد كلمه أحب إليه وأبلغ فى الشكر عنده من أن يقول : الحمد لله الذى انعم علينا وهدانا للإسلام ".. (صحيح الوصايا /٢/ ٤٠٣)..

*** اكتباها كما قال عبدى**

روى أن عبدا من عباد الله قال " يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك " فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى السماء فقالا : يا ربنا إن عبدك قد قال مقاله لا ندرى كيف نكبها ؟! قال الله – وهو اعلم بما قال عبده – ماذا قال عبدى ؟ قالا : يا رب انه قد قال : **يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك .. فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بهـــا** " (رواه ابن ماجه عن ابن عمر انظر الحديث رقم ١٨٧٧ ضعيف الجامع)

وظاهر أن هذا العابد كان فى سياحة روحية طوفت به فى آفاق لا يعلمها إلا الله استجمع فيها من الآيات والعبر ما شحن قلبه وغمر حسه وغلي على ظاهره وباطنه لم ير إلا أن يحيى ربه بهاتين الجملتين .. ورأى الملكان أن ما قال فوق ما لديهما من ضوابط الأجور ففعلا ما فعلا " (فن الذكر والدعاء /٩٧).

*** والحسن اقتفى الأثر**

كان يردد **الحسن البصرى** " الحمد لله اللهم ربنا لك الحمد كما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرجت عنا .. لك الحمد بالإسلام والقرآن ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة .. كبت (أذللت) عدونا وبسطت رزقنا وأظهرت أمتنا وجمعت رقتنا وأحسنت معافاتنا ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا فلك الحمد على ذلك حمدا كثيرا لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا فى قديم أو حديث أو سر أو علانية أو خاصة أو عامة أو حى أو ميت أو شاهد أو غائب لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت "..

*** أبو سليمان الدارانى**

كان يقول " انى لأخرج من بيتى فما يقع بصرى على شىء الا رأيت لله علىّ فيه نعمة ولى فيه عبرة "

<u>** كيف تشكر ؟</u>

<u>(الطريقة الأولى : شكر متواصل لتواصل)</u>

" نحن جماهير البشر نصبح ونمسى نخوض فى نعم الله خوضا فلماذا لا نوقظ أفكارنا الغافلة إلى معرفة تلك المنن ؟ ولماذا لا نوقظ ضمائرنا لشكر مرسلها " (خواطر الفجر /١٢٠) .. وقال على بن أبى طالب لرجل من همــذان " إن النعمة موصولة بالشكر والشكر معلق بالمزيد وهما مقرونان فى قرن (متصلين ببعض) فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد ".. وقال قتادة " نعم العبد عبد إذا ابتلى صبر وإذا أعطى شكر "(تفسير ابن كثيــر /٢٧٥/٤) .. لذا إذا بشرت بنعمة تَسُر أو باندفاع نقمة فاسجد شكرا لله ولو كنت على غير وضوء أو فى غير اتجاه القبلة فعن أبى بكرة أن النبي (ص) كان " **إذا أتاه أمر يسره أو بشر به خر ساجدا شكرا لله تعالى** "(حسن : رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه وابو داود عن ابى بكرة انظر الحديث رقم ٤٧٠١صحيح الجامع)

أبو داود وابن ماجه والترمذى وحسنه)

(الطريقة الثانية : رباعية الهمم)

يعرض البنود صاحب إيقاظ أولى الهمم العالية " أولا : أن يحمد الله على نعمه بلسانه ويشكره .. ثانيًا : أن يعتقد أن هذه النعمة أو النعم آتية من الله تعالى كرما منه وإحسانا .. ثالثًا : أن لا يستعين بها على معاصيه بل يطيع الله فيها .. رابعًا : أن يعرف فضل الله عليه وكرمه فيستحى منه فلا يعصه "

(الطريقة الثالثة : لكل نصيب)

قال رجل **لأبى حازم** : ما شكر العينين يا **أبا حازم** ؟

قال : إن رأيت بهما خيرا أعلنته وان رأيت بهما شرا سترته

قال : فما شكر اليدين ؟!

قال : لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقا لله هو فيهما

قال : فما شكر الأذنين ؟!

قال : إن سمعت بهما خيرا وعيته وان سمعت بها شرا دفنته

قال : فما شكر البطن ؟!

قال : أن يكون أسفله طعاما وأعلاه علما

قال : فما شكر الفرج ؟!

قال :كما قال تعالى " إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين .. فمن ابتغى وراء ذلك فألئك هم العادون "..

قال : فما شكر الرجلين ؟!

قال : إذا رأيت حيا غبطته (رجلا تسعى للصالحات فأحبب أن تكون رجلك مثلها) استعملت بها عمله وإذا رأيت ميتا مقته (أبغضت عمله) كففتهما عن عمله وأنت شاكر لله عز وجل .. فأما من شكر بلسانه ولم يشكره بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر(صحيح الوصايا)..

(الطريقة الرابعة : اشكر كل وقت وحين)

قال (ص) " **ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله إلا كان الذى أعطى أفضل مما أخذ** " (صحيح : رواه ابن ماجه عن أنس انظر الحديث رقم ٥٥٦٣ صحيح الجامع)

.. وفى رواية " **لو أن الدنيا بحذافيرها فى يد رجل من أمتى ثم قال : الحمد لله ؛ لكانت الحمد لله أفضل من ذلك كله** " (رواه ابن عساكر عن أنس نظر الحديث رقم ٤٨٠٠ ضعيف الجامع)

ويشرح الإمام الغزالى " نعم الله عليك فى الطاعة فقد أمكنك منها وأعطاك الإله وأزاح عنك العوائق حتى تفرغت لهذه الطاعة وخصك بالتوفيق والتأييد ويسرها عليك وزينها فى قلبك حتى عملتها ثم مع جلاله وعظمته واستغنائه عنك وعن طاعتك وكثرة نعمه عليك أعد على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل والثواب العظيم الذى لا تستحقه " (منهاج العابدين/١٢٢)

(الطريقة الخامسة : وصفة تصبر عند البلاء)

اصطاد لك من صاحب الخواطر هذه الجرعة " من نزلت به بلية فأراد تمحيقها فليتصورها أكثر مما هي تهن وليتخايل ثوابها و ليتوهم نزول أعظم منها يرى الربح في الاقتصار عليها وليتلمح سرعة زوالها فإنه لولا كرب الشدة ما أجيب ساعات الراحة وليعلم أن مدة مقامها عنده كمدة مقام الضيف فليتفقد حوائجه في كل لحظة فيا سرعة انقضاء مقامه ويا لذة مدائحه وبشره في المحافل ووصف المضيف بالكرم ..

فكذلك المؤمن في الشدة ينبغي أن يراعي الساعات ويتفقد فيها أحوال النفس ويتلمح الجوارح مخافة أن يبدو من اللسان كلمة أو من القلب تسخط فكأن قد لاح فجر الأجر فانجاب ليل البلاء ومدح الساري بقطع الدجي فما طلعت شمس الجزاء إلا و قد وصل إلى منزل السلامة " (صيد الخاطر / ٣٦)

يا سادة يا كرام ..

خلاصة القول

أن الشاكرين العابدين يشملهم الله برعايته ويحوطهم بكرمه ويظللهم بسمائه ويأويهم فى أرضه ويزيدهم من رزقه .. فيحكى حال الواحد منهم ..

معى ربى سيهدين ..

ويطعمنى ويسقين ..

وإذا مرضت فهو يشفين.

** وقبل السلام

تضرع وابتهال

عن **عنبة بن الأزهر** قال : كان **محارب بن دثار** قاضى أهل الكوفة قريب الجوار منى فربما سمعته فى بعض الليل يقول ويرفع صوته :

" أنا الصغير الذى ربيته فلك الحمد .. وأنا الضعيف الذى قويته فلك الحمد.. وأنا العارى الذى كسوته .. وأنا الفقير الذى أغنيته فلك الحمد ..وأنا الساغب (الجائع) الذى أشبعته فلك الحمد.. وأنا المسافر الذى صحبته فلك الحمد.. وأنا الغائب الذى أديته (رددته لأهله) فلك الحمد.. وأنا الراحل الذى حملته فلك الحمد .. وأنا المريض الذى شفيته فلك الحمد .. وأنا الداعى الذى أجبته فلك الحمد .. ربنا ولك الحمد حمدا لك على كل نعمة " .. لتكون عمليا توضأ الآن واستقبل القبلة وردد ما قرأت بقلبك مرة واثنان وثلاث ..

وسترى الفارق ؟!

الله أعلم :

يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالى " النعمة إنما تعطى من يعرف قدرها وإنما يعرف قدرها الشاكر ومن ظن أن النعمة إنما تعطى من يكون أكثرهم مالا وأشرفهم حسبا ونسبا فقالوا : ما بال هؤلاء الفقراء أعطوا النعمة العظيمة فقالوا على طريق الاستكبار ومجرى الاستهزاء " أهؤلاء من الله عليهم من بيننا " فأجابهم الله بهذه النكتة الزاهرة " أليس الله بأعلم بالشاكرين "..(منهاج العابدين /١٨٥/ بتصرف) .. ويخضع الحياة بتمامها وهب بن الورد لهذه النظرية عندما كان يسأل عن ثواب شىء من الأعمال فيرد : " لا تسألوا عن ثوابه ولكن اسألوا ما الذى على من وفق لهذا العمل من الشكر والتوفيق والإعانة عليه " (لطائف المعرف /٣٠١)

اعملوا شكرا :

آل داود حالهم عجب عجاب مع الشكر لأنهم اتخذوه نبراسا على الطريق ومشعلا على الدرب .. ويحفز أولى الهمم وأصحاب القمم ثابت البنانى .. أنت وحدك .. أنت وزوجتك وأولادك .. أهلك وجيرانك .. أصحابك وأحبابك .. يستفز كل هؤلاء نحو الخيرات ليدوى الخبر " كان داود عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فم يكن ساعة من ليل أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى فيها فعمهم الله فى هذه الآية " اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور " (صور ومواقف من حياة التابعين).

يا قوى الملاحظة :

هلا لاحظت " اعملوا " وهذا مما يفتح لذهنك الأفق ويفسح لعقلك المجال أن حقيقة الشكر فى التنفيذ والعمل وليس بالقول والكسل .. واعتصر قلب داود لأمر الله إياه " اعملوا " فرأى أن الحمل ثقيلا والقول يستدعى البرهان فناجى قلبه ربه " إلهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك ؟ فأوحى الله تعالى إليه : الآن قد شكرتنى " !! ..

الآن فقط شكرتنى حين تستشعر العجز ويستقر فى مخيلتك الفقر فتسلم تسليم المساكين وتنكسر انكسار المتذللين .. فقد شكرت .. بل وازدادت الرؤية تجليا وأشرقت الصورة وضوحا حين غسل يده مما عمل .. وبرأ نفسه من أن يؤدى حق الله عليه فروى الحسن اعتراف داود عليه السلام مناشدا " الهي لو أن لكل شعرة منى لسانين يسبحانك الليل والنهار والدهر ما وفيت حق نعمة واحدة " (عدة الصابرين) ..

وهو هو حال موسى عليه السلام " إلهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف أشكرك ؟

فقال :علم أن ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكره لى "

همسة :

قال داود : إلهى .. كيف لى أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك ؟! فأوحى الله إليه : يا داود ألست تعلم أن الذى بك من النعم منى ؟! قال : بلى .. قال : فإنى أرضى بذلك منك شكرا " (مواعظ الأنبياء /٥٠)

****

سيماهم فى وجوههم

ضربة البداية

يا حاملا من الدنيا أثقالا ثقالا .. يا مطمئنا لا بد أن تنقل من الدنيا انتقالا ..
يا مرسلا عنان لهوه فى ميدان زهوه ارسلا ..
كأنك بجفنيك حين عرض عليك كتابك قد سالا
أين المعترف بما جناه ؟ أين المعتذر لمولاه ؟
أين الآيب من سفر دنياه وهواه ؟

نيران الاعتراف تأكل خطايتا الاقتراف
مجانيق الزفرات تهدم حصون السيئات
سجدات المحراب تغسل أنجاس الخطيئات
تمريغ الجباه أقصر الطرق الى أسعد حياه
وتذكر يوم تبيض وجوه وتسود .....

** ألا تشتاق ؟!

١- طريق رفقة الحبيب :

عن **ربيعة بن كعب** قال : كنت اخدم النبى (ص) فإذا كان الليل أويت إلى باب رسول الله فبت عنده فلا أزال اسمعه يقول : " سبحان الله .. سبحان ربى " حتى أمل أو تغلبنى عينى فأنام فقال يوما : " يا **ربيعة** : **سلنى فأعطيك** " فقلت : أنظرنى حتى أنظر وتذكرت إن الدنيا فانية منقطعة ؛ فقلت : يا رسول الله أسألك أن تدعوا الله أن ينجنى من النار ويدخلنى الجنة .. فسكت رسول الله ثم قال : **من أمرك بهذا .!** قلت : ما أمرنى به أحد ولكنى علمت أن الدنيا منقطعة فانية وما أنت من الله بالمكان الذى أنت منه فأحببت أن تدعو الله لى .. قال " **إنى لفاعل .. فأعنى على نفسك بكثرة السجود** " (إسناده صحيح)..

يا هذا : إنما خُلقت الدنيا لتجوزها لا لتحوزها ولتعبرها لا لتعمرها ..

يا مسافرين من عزم تزود .. يا راحلين إلى متى الانقطاع عن الركب ..

ولِ الدنيا ظهرك ترفع لك الآخرة نقابها ..

إلى متى أنت فى طلبها ؟ إلى كم الاغترار بها ؟

أين القلب الحى ؟ أين العقل الواعى ؟

من ينافس سهم ربيعة ؟؟
يا أطفال الغفلة ما أشد حنينكم إلى الرضاع وفطامكم عن الهوى الذى أغار على القلوب .. وأغشى علـــى العيـــون ..كن **ربيعه** فى سؤاله .. كن **ربيعه** فى تفكيره .. تعلق قلبه بهول المصير لأنه يخاف الناقد البصير .. رأى حقيقة الدنيا فكشف زيفها ..

وأنت اخى .. وأنت أختاه ..

إذا سُئلت " **سلنى فأعطيك** " ومن الذى يسأل إنه حبيب القلوب (ص) ماذا سيكون الجواب ؟

وفيما سيصوب التفكير ؟ وأين سيسعى القلب نشوة ؟ وماذا يردد اللسان فى لهفة ؟

" **فأعنى على نفسك بكثرة السجود** "..

إجابة أخرصت ألسن البطالين .. وهزت قلوب التائهين .. وأعادت الانتباه للغافلين ..

وثبتت خطى المؤمنين ..

فهل من معين ؟

٢- ارتقاء منابر الدرجات :

وعن **معدان بن أبى طلحة** قال : لقيت **ثوبان** مولى رسول الله فقلت : اخبرني بعمل أعمله يدخلنى الله به الجنـــة أو قال : قلت : بأحب الأعمال إلى الله فسكت ثم سألته فسكت ثم سألته الثالثة فقال : سألت عن ذلك يا رسول الله فقال : **عليك بكثرة السجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط بها عنك خطيئة** " (صـــحيح : رواه مسلم وأحمد الترمذى والنسائى وابن ماجه انظر الحديث رقم ٤٠٥٠ صحيح الجامع)

يا من له تعنو الوجوه وتخشع ولأمره كل الخلائق تخضـــع
أعنـو إليك بجبهـة لم أحنهـــا إلا لوجهك ساجدًا أتضرع (نفحات ولفحات /٣٢)

السلعة الغالية

أخبرني بعمل أعمله يدخلنى الله به الجنة .. آه ثم آه .. من ذكر الجنة .. تاه عنها الكثير .. ومن نسى اسمها لـــيس بالقليل .. وكأنها أرض أحلام لا يرى فيها الأنام ..فأصبح فى زمننا ذكر كلمة الجنة خاملة ســـاكنة باهتـــة .. لان القلوب تبدلت والأفهام تحولت .. كلمة تحتاج لإدراك .. بعد أن كانت عند الصحب والسلف .. تفتح من القلب الباب .. ويتشبث بها الأحباب ..ومجرد التلفظ بها تتنفس القلوب الصعداء اشتياقا .. وتهفو لها الروح ابتهاجا ..

أما الآن ..

فلا شىء يرفع القيود عن القلوب .. أو يجلو الران علن الصدور .. كل فى حاله .. لا المذنب يسعى للتوبة .. ولا الغافل ينوى التصحيح .. ولا الشاب يكف .. ولا الفتاه تنتهى ..

انتبهوا يا سادة :

إنها الجنة .. ألا تصدقون ؟ ألا تتحمسون ؟ ويكفى الحر الملامة ..

انضم لحزبهم

دخلوا على عابد فقالوا له : لو رفقت بنفسك .. قال : من الرفق أتيت ..

اسمع يا كسلان ..

كانوا فى طلب العلا يجتهدون .. ولا يرضون بالدون .. لذا كثر السجود ..وأنفقت العبادة بكف الجود ..

فلا تسجد سجدة إلا رفعك الله بها درجة .. ولدينا مزيد .. وحط بها خطيئة ..

فما من سجدة إلا وهى تنادى أختها .. أن هلمى فلو رأيتى كم ارتقيت الدرجات وكم غفر مع هذه الدقيقة السيئات لهرولتي إلى ..

أسرعى .. أيتها الجباه الساجدة .. لا تنقطعى ..

أيتها النواصى شدى المئزر .. فأمامك مضاعفة الحسنات وارتقاء الدرجات ..

ونيل أرباح السجدات والفرصة لا زالت قائمة ..

٣- برهان النجاة :

يقول (ص) " **إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من يعبد الله فيخرجهم ويعرفونه بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود** " .. والإمام **ابن باديس** يوضح ذلك " السجود مظهر لغاية الذل والخضوع والانقياد والاستسلام وذلك أصل العبادة ولا يستحقها من العبد إلا من هو حقيقة المنعم الغني الكامل القوي ، وما هو إلا خلقه فاستدل على استحقاق الله السجود دون غيره ، بما ذكره إخراجه الخبء ويشمل علمه لما خفي وما علن " (تفسير بن باديس /٤٥٩) .. ويوضح السبب ليكون جليا **ابن عمر إسماعيل بن عبيد** " يا ابن أخى خطايا الإنسان فى رأسه وإن السجود يحط الخطايا " (الزهد لابن المبارك/٢/٥٥٧)

كيف ؟؟

كيف تأكل النار جباه لم تسجد إلا لخالقها ؟ .. كيف تقترب من جباه مرغت فى التراب لبارئها ؟.. جبهة كل وقت له تسجد ولا غيره تعبد.. تذللت النواصى فعزت .. وانكسرت فرفعت بالرضا .. وحين سجدت انهارت أصنام الكبر والإعجاب ..

أما من لم يمرغ الجبين واكتفى بحركات خالية من الروح وبعيدة عن المقصود .. أقول له .. يا كثير الانبساط .. أما تخاف عواقب الإفراط ؟يا مؤثرا الفاني على الباقي .. ألك قدم تصلح للمشى على الصراط ؟

وكم من فتى يصبح ويمشى آمنا وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى

فاستلب زمانك يا مسلوب .. وغالب الهوى يا مغلوب .. وحاسب نفسك فالعمر محسوب وامح القبيح فالكل عليك مكتوب .. فوا عجبا لنائم فى سكرته وهو مطلوب .. ولضاحك ملء فيه وهو مصراً على الذنوب .. وغافلا عن ربه وعن السجود .. ويكفيك ما يحكيه أبو بكر بن عياش وهو يخبرك رأيت حبيب بن أبى ثابت ساجدا فلو رأيته قلت ميت !! يعنى من طول السجود (سير أعلام النبلاء/٥/٢٩١) ..

لأن للنجاة برهان .. وللجنة دليل .. وللعبادة توقان ..

٤- اقتراب من الرب وفرحة فى القلب :

يقول (ص) " **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء** " (صحيح : مسلم والنسائى وابو داود عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ١١٧٥ صحيح الجامع)

.. **والإمام النووي** يجلي عين بصيرتك " معناه أقرب ما يكون رحمة ربه وفضله وفيه الحث على الدعاء في السجود وفيه دليل لمن يقول إن السجود أفضل من القيام وسائر أركان الصلاة " (شرح النووى /٤/٢٠٠)..

ويعلق **المناوي** " السجود حالة غاية التذلل وإذا عرف العبد نفسه بالذلة والافتقار عرف أن ربه العلي الكبير المتكبر الجبار فالسجود لذلك مظنة الإجابة ومن ثم حث على الدعاء فيه بقوله .. فأكثروا " (فتح القدير /٢/٦٨).. وعاش تلك اللحظات **صاحب الواحات** فيحكى عن شعوره قائلا " إنها اللذة التى يستشعرها الإنسان حينما يستيقن انه يأوى

إلى ركن متين قادر على قضاء حاجته بعد أن عجز البشر إنها اللذة التى يستشعرها الإنسان حينما يفرغ كل ما فيه من الهموم بين يدى مولاه فلا يبقى شيء يقلقله بعد ذلك مادام قد فوض مولاه بحلها وكشفها وهو القادر على ذلك " (واحات الإيمان /٢/١١-١٢) واعتبرها مسروق أعظم اللذائذ فقال " ما من الدنيا شيء آسى عليه إلا السجود لله تعالى " (الزهد /٣٤٩)

٥- خير من الدنيا وما فيها :

يقول (ص) " **والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطا وإماما عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها** " (صحيح : رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى عن ابى هريرة انظر الحديث رقم٧٠٧٧ صحيح الجامع)

.. نعم أخوتاه ..

من ذاق لذة القرب ولذة الذل ولذة الخضوع والاستسلام لله .. كانت عنده السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها ..وأؤكد لك .. فعن أبو هريرة أن رسول الله (ص) مر بقبر فقال : من صاحب هذا القبر ؟! فقالوا : فلان .. فقال : **ركعتان خفيفتان بما تحقرون وتنفلون يزيدهما هذا فى عمله أحب إليه من بقية دنياكم** " (صحيح : رواه ابن المبارك عن الى هريرة انظر الحديث رقم ٣٥١٨٨ صحيح الجامع)

" أى : أن الناس يرغبون عن الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها " (فتح البارى /٦/٤٩٣)

٦- المعرفة اللذيذة :

قال (ص) " **ما من أمتى من أحد إلا وأنا أعرفه يوم القيامة قالوا : وكيف تعرفهم يا رسول الله فى كثرة الخلائق ؟! قال : أرأيت لو دخلت صبرة فيها خيل دهم بهم وفيها فرس أغر محجل أما كنت تعرفه منها ؟ قال : بلى .. قال : فإن أمتى يومئذ غر محجلين من السجود محجلون من الوضوء** " (مسند أحمد /٤/١٨٩/صحيح)..

٧- أولى الناس بالرحمة :

يتحدث النبى (ص) فى قوله " **وجوه يومئذ ناضرة** " فقال " **حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم فى النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة فى حميل السيل** " (البخارى / الفتح /٧٤٣٧)

٨- التنفيذ المنجى :

يقول تعالى " يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقه ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون " ..

" إذا كان يوم القيامة وانكشف فيه من القلاقل والزلازل والأهوال ما يدخل تحت الوهم وأتى البارى لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم فكشف لهم عن ساقه الكريمة التى لا يشبهها شيء ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه فحينئذ يدعون إلى السجود لله فيسجد المؤمنون الذى كانوا يسجدون لله طوعا واختيارا .. ويذهب الفجار والمنافقون ليسجدوا وتكون ظهورهم كصياصى البقر لا يستطيعون الانحناء وهذا الجزاء من جنس عملهم فإنهم كانوا يدعون فى الدنيا إلى السجود لله وتوحيده وعبادته وهم سالمون لا علة فيهم فيستكبرون عن ذلك ويأبون

فلا تسأل يومئذ عن حالهم وسؤ مآلهم فإن الله سخط عليهم وحقت عليهم كلمة العذاب وتقطعت أسبابهم ولم تـنفعهم الندامة والاعتذار يوم القيامة " (تفسير كلام المنان /٧/٤٥٢-٤٥٣)
٩- شهود من كل مكان :
آية تخضع معها القلوب
يقول تعالى " **ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء** ".
وشهيد القرآن يصف لك " يتدبر القلب هذا النص فإذا حشد من الخلائق مما يدرك الإنسان ومما لا يدرك وإذا حشد من الأفلاك والأجرام مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم وإذا حشد من الجبال والشجر والدواب فى هذه الأرض التى يعيش عليها الإنسان إذا بتلك الحشود كلها فى موكب خاشع تسجد كلها لله وتتجه إليه وحده دون سواه تتجه إليه وحده فى وحده واتساق إلا ذلك الإنسان فهو وحده الذى يتفرق .. فلا كرامة إلا بإكرام الله ولا عزة إلا بعزة الله ".(الظلال ٤/٢٤١٤)
وفى قوله تعالى " النجم والشجر يسجدان " يقول **الإمام الشوكانى** فى هذه الآية " المراد بسجودهما انقيادهما لله تعالى انقياد الساجدين من المكلفين " (فتح القدير /٥/١٣٢)

اسجد واقترب

أغلى اللحظات
السجود لحظات تثمر حرارة الشوق بينك وبين الله وتكتب سطور الحزن لتكاسلك وهوانك فى عبادته وترسل أنفاس الأسف حتى يأتيك توقيع ربك بنظرة رحمة تدخل على إثرها الجنة.. وكما قال طاووس " دخل على بن الحسين الحجر ليلة فصلى فسمعته يقول فى سجوده : عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك سائلك بفنائك "(الجامع المنتخب من رسائل بن رجب /٩٩) .. وأتركك تتسلى بهدية المصطفى (ص) " **ما من حالة يكون العبد عليها أحب إلى الله من أن يراه ساجدا يعفر وجهه فى التراب** " (رواه أحمد والبيهقى فى الشعب عن حذيفة انظر الحديث رقم ٥١٦٧ ضعيف الجامع)
تراهم ركعًا سجدًا
يشحذ هممنا **ابن كثير** في تفسيره في قوله " تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلا من الله ورضوانا " .. " وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال ووصفهم بالإخلاص فيها لله عز وجل والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول " ورضوان من الله أكبر " ..
من أثر السجود
فى قوله تعالى " **سيماهم فى وجوههم** " يقول صاحب الظلال " سيماهم فى وجوههم من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية ومن ذبول العبادة الحى الوضيء اللطيف وليست هذه السيماء هى النكتة المعروفة فى الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله " من أثر السجود " فالمقصود هو أثر العبادة واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله فى أكمل صورها فهو اثر هذا الخشوع أثره فى ملامح الوجه حيث تتوارى

الخيلاء والكبرياء والفراهة ويحل مكانها التواضع النبيل والشفافية الصافية والوضاءة الهادية والذبول الخفيف الذى يزيد وضاءة وجه المؤمن وضاءة وصباحه " (الظلال /٦/٣٣٣٢)

وجوه غسلتها دموع الأحزان .. وجوه تخبر عن القلوب إخبار العنوان ..

حرسوا الوقت باليقظة وحفظوا الزمان وشغلوا العيون بالبكاء والألسن بالقرآن ..

وجوه ما توجهت لغير الله واستدارت وأقدام إلى غير ما يرضاه ما سارت ..

وأفئدة بغيره ما استجارت .. وقلوب بغير ذكره ما استنارت ..

ولو رأت عيون الغافلين ما أعد لهم لحارت ..

أما تتحفز ؟!

** قلوب سجدت قبلك

* كان **عبد الله بن الزبير** يركع فيكاد الطير أن يقع على ظهره ويسجد فكأنه ثوب مطروح . (الزهد/٢٠٠)

* كان **العنبس بن عقبه** يسجد حتى تقع العصافير على ظهره فكأنه جذم حائط (صفة الصفوة /٢/٢٤٨)

* كان **صفوان بن سليم** كثير السجود فوقع بعد موته آية من ربه فقال **سفيان** .. أخبرني الحفار الذى يحفر قبور أهل المدينة قال : حفرت قبر رجل .. فإذا أنا قد وقعت على قبر فوافيت جمجمة فإذا السجود قد أثر في عظام الجمجمة فقلت .. قبر من هذا .. فقال : أو ما تدرى ؟! هذا قبر صفوان بن سليم ..وعن محمد بن منصور قال : يقول أهل المدينة إنه بقيت جبهته من كثرة السجود .. (السير /٥/٣٦٧)

* كان **مرة بن شرحبيل** كثير الصلاة تبين فى وجهه وكفيه وركبتيه آثار الركوع والسجود وكان موضع صلاته كمبارك الإبل !!.. وقال عنه الحارث الغنوى .. سجد مرة حتى آكل التراب جبهته فلما مات رآه رجل من أهله فى منامه كأن موضع سجوده كهيئة الكوكب الدرى يلمع فقلت له : ما هذا الذى أرى بوجهك ؟! قال : كسى موضع السجود بأكل التراب له نورا .. قال : ما منزلتك فى الجنة ؟! قال : خير منزلة دار لا ينتقل عنها أهلها ولا يموتون (المنتظم /٥/٢٧٧)

* كان **مسلم بن يسار** يقول لأهله إذا دخل صلاته فى بيته " تحدثوا فلست أسمع حديثكم " وكان إذا دخل المنزل سكت أهل البيت فلا يسمع لهم كلام وإذا قام يصلى تكلموا وضحكوا !! " (الصفوة /٢/٢٩٩)..

وصية

يا صاح قبل نومك كل يوم اسجد لله سجدة تتوجه إليه بالشكر واحمده على كل حال ليهبك الله القلب الشكر ..

وسؤال لك ..

كم سجدة سجدتها بطمأنينة قلبية وتفكرت في موقفك وأنت ساجد لربك وهو مطلع وعالم ؟! وإن لم تجرب هذه الصورة .. فدع القراءة .. ونفذ الآن ونلتقي بعد هذا الفاصل .. أرى عينك تصدق كلامي .. وإن لم تتأثر فلعل هذا ما يؤخر عنك هذه اللذة ..

عدم تفكرك في أمر آخرتك .

أداء العبادات كعادات لا روح فيها .

التعلق بزينة الدنيا والشهوات .

الانشغال بما لا ينفع .

وقبل السلام

سجدات المحراب

من أعظم النعم لو كنا نعقل هذه الصلوات وتلك السجدات كل يوم وليلة .. كفارة لذنوبنا ورفعة فى درجاتنا عند ربنا ..وعلاج عظيم لمآسينا .. ودواء ناجع لأمراضنا .. أما الذين تعجبك أجسامهم .. وإذا قاموا إلـى الصـلاة قـاموا كسالى .. ولا يذكرون الله إلا قليلا .. ولا يقفون بين يدى ربهم إلا وهم كارهون .. وإذا سجدوا لا يسجدون إلا وهم لها يستثقلون ..فهم أضعف شيء عن الطاعات وفعل الصالحات .. ولكنهم أقوياء ولكن فى اقتطـاف الشـهوات .. وتصيد اللذائذ .. وركوب سفينة الغارقين ..

إن الله لا ينظر إلى صورنا ولا أجسامنا ولكن ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا .. فلا يغرك جسم لا قلب فيه .. وهيكل لا روح فيه .. وجثمان لا حياه به.. لان المسألة مسألة إيمان وصلاح .. لا لحم وعظم .. أو شحم ودم .

انتباه .. أتبيع بلا ثمن ؟!

إلى من يطلبون النجاة .. إلى من يسعون لفكاك الرقاب من العقاب ..هكذا سجدت القلوب .. وهكذا تـذللت الجبـاه ..ولهذا طابت لهم الحياة ..فيا من تتكبر على ربك فلا تقدر أن تسجد له وأنت تفترش أرضه وتلتحف سمائه ..ويا من تجحد النعم ولا تنال منك إلا السخط والتمرد فتستدعى عليك عجلة النقم .. يا من قطعتم حبـالكم عـن ربكـم وأوثقتموها بدنياكم .. ويا من فرقتم ظلكم عن نهج المصطفى والتزمتم عصيانكم ..ورضيتم بسيء أحـوالكم .. لا همة فى الطاعة .. ولا توبة نصوح .. ولا خشوع فى العبادة .. ولا مغامرة مع الجنة .. ولا صولات ولا جولات مع كتاب ربكم ..

أقول لك :

مثل نفسك فى زاوية من زوايا جهنم وأنت تبكى أبدا ولا تجد من يكفكف دمعك .. أبوابها مغلقة وسقوفها مطبقة .. وهى سوداء مظلمة .. لا رفيق تأنس به .. ولا صديق تشكو إليه .. لا نوم بريح .. ولا شيء يريح .. قال كعب " إن أهل النار ليأكلون أيديهم إلى المناكب من الندامة على تفريطهم وما يشعرون بذلك "..

أما سمعت مناجاة سيد الفتيان على ابن أبى طالب " يا من أعززت أنفسنا بتأييد إيمانك لا تذلنا بين أطباق نيرانك " (الكبائر)..

ألا تجدد العهد ؟ ألا تصحح الباقى ؟ ألا توفى بالوعد ؟ ألا تلحق بالركب ؟
فلم يبقى فى عمرك إلا القليل وأمر الله غاد ورائح !!..

همسة :

صافحك **عطاء الخراسانى** " ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكـت عليه يوم يموت "

يا صاح : أبكى الأرض كلها لفراقك.

اغتنـم ركعتـين زلفـى إلى الله — إذا كنـت فـارغـا مستـريحـا
وإذا ما هممت بالنطق بالباطل — فاجعـل مكـانه تسبيـحـا
فاغتنام السكوت أفضـل من — خوض وان كنت بالكلام فصيحا

العلامة الثالثة ..

من الطارق ؟!

ضربة البداية

اذا نزلت بك النوازل .. أو ألمت بك الخطوب .. فاهتف باسمه .. واطلب مدده
لما سمع العابدون " فإنى قريب " رفعوا الأكف ونثروا شكواهم ..
وهب السحر فهبت عطاياهم .. وكثر الاستغفار فحطت خطاياهم ..
وكلما طلبوا من فضل سيدهم أعطاهم ..
فسبحان من اختارهم من الكل واصطفاهم ..
وخلصهم بإلحاحهم من شوائب الحياة وصفاهم
فألح عليه .. والزم بابه .. وبالغ فى سؤاله
وتبتل إليه تبتيلا .. يكن لك ما تريد

** لأنه الله

لأنه الله .. الذى علا فقهر وحكم فقدر .. واطلع فستر وعلم فغفر

لأنه الله .. رحمته غلبت غضبه .. ويدبر ملكه .. ويصرف خليقته .

لأنه الله .. يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء.

لأنه الله ..ما تسقط من ورقة إلا يعلمها .. ولا تلفظ من همسة إلا يسمعها .. وما تدب حركة إلا يطلع عليها.

لأنه الله .. يقضى ويحكم .. يقدم ويؤخر .. يعز ويذل .. يولى ويعز.

لأنه الله .. ترفع إليه المسائل .. وتصعد إليه الحاجات ..وتصعد إليه الأعمال ..

لأنه الله .. وتحصى لديه الأقوال .. وتكشف عنده الأحوال .. وتعلق على توفيقه الآمال ..

لأنه الله ..يطعم الجائع .. ويسق الظمآن ويكسو العار ويرد الغائب ويهدى الضال ويعافى المبتلى.

لأنه الله .. ينصر المظلوم .. ونجى الملهوف ويعطى المسكين

لأنه الله .. يكشف الكرب .. يزيل الخطب .. يسهل الأمر الصعب

لأنه الله .. بنى السماء .. وبسط الأرض .. وقدر الأوقات .. وأوجد المخلوقات .. وأنت أحدهم
فإني قريب .. قريب .. وأجيب
وعندما سأل أحد الصحابة النبي (ص) : آلله قريب فأناجيه أم بعيد فأناديه فنزل الرد الربانى " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون " ..
قريب : أسمع فأجيب وأعطى البعيد والقريب وارزق العدو والحبيب ..

قريب : يغيث اللهفان ويشبع الجوعان ويسقى الظمآن ويتابع الإحسان

قريب : عطاؤه ممنوح وخيره يغدو ويروح وبابه مفتوح ..

قريب : فرجه فى لمحة البصر وغوثه فى لفتة النظر ..

قريب : دعا المذنبين للمتاب وفتح للمستغفرين الباب ورفع عن أهل الحاجات الحجاب ..

وكأنه سبحانه يقول " **إن دعانى لضر كشفت وان دعانى لحاجة قضيت وإن دعانى لمرض شفيت وإن دعانى لهم كفيت وإن دعانى لرزق أطعمت وإن دعانى لدين أديت وإن دعانى لذنب غفرت وصفحت وإن دعانى لعيب أصلحت وإن دعانى لتوبة تقبلت وإن أطاعونى أحسنت إليهم وإن عصونى سترت وإن أدبروا عنى ناديتهم وإن أقبلوا أدنيتهم وإن سألوا أعطيتهم** " ..

إنه الله القدير

" لما تلمحت تدبير الصانع في سوق رزقي بتسخير السحاب و إنزال المطر برفق والبذر دفين تحت الأرض كالموتى قد عفن ينظر نفخه من صور الحياة فإذا أصابته اهتز خضرا وإذا انقطع عنه الماء مد يد الطلب يستعطي وأمال رأسه خاضعاً ولبس حلل التغير فهو محتاج إلى ما أنا محتاج إليه من حرارة الشمس وبرودة الماء ولطف النسيم وتربية الأرض فسبحان من أراني ـ فيما يربيني به ـ كيف تربيتي في الأصل فيا أيتها النفس التي قد اطلعت على بعض حكمه قبيح بك ـ الله ـ الإقبال على غيره ثم العجب كيف تقبلين على فقير مثلك يناديني لسان حاله بي مثل ما بك يا حمام!! فارجعي إلى الأصل الأول واطلبي من المسبب ويا طوبي لك إن عرفتيه فإن عرفانه ملك الدنيا والآخرة " (صيد الخاطر /٤١)

هو العبادة

يقول (ص) " **الدعاء هو العبادة** " (صحيح : رواه البخارى فى الادب المفرد وابو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى وأحمد وابن حبان والحاكم عن النعمان بن بشير انظر الحديث رقم ٣٤٠٧ صحيح الجامع)

.. إذا صار الإنسان عبدا لخالقه .. وتيقن ما خلق من اجله .. ترجمت القلوب وأسدلت على الجوارح .. فيكون الدعاء احد البراهين والأدلة الدامغة على صدق العبودية .. لهذا كان الدعاء هو العبادة .. حين ترتفع اكف الضراعة .. وتجرى الدعوات المباركات .. يتسرب إلى قلبك الحنين إلى ربه .. وكأنه يهمس فى أذنيك عبدى ادعوني ..

** عوامل حفز

١- سلاح مهجور

قال (ص) " **الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والأرض** " (رواه : أبو يعلى فى مسنده والحـــاكم وقال السيوطى صحيح ..عن على بن ابى طالب انظر حديث رقم : ٣٠٠١ ضعيف الجامع)

وقال (ص) " **ألا أدلكم على ما ينجيكم من عدوكم ويدر لكم أرزاقكم : تدعون الله فى ليلكم ونهاركم فإن الـــدعاء سلاح المؤمن** " (انظر مسند أبو يعلى)

سلاح المؤمن .. إذا هاجمك الأعداء وحلقت أشباح الهموم ..

سلاح المؤمن .. إذا قسا القلب ولا حل .. وذهب العقل ولا رادع .. وتاهت النفس ولا مرشد

سلاح المؤمن .. إذا عزفت النفس عن الآخرة .. وترحلت فيما يسخط ربها .. فلا اثر لموعظة .. أو موقع لنصيحة

سلاح المؤمن ..إذا سيطرت الأحزان وضاق الرزق .. وانتهت الأسباب الأرضية .. ولم يبقى إلا مدد السماء

سلاح المؤمن .. إذا حلت النكبة .. واستحكمت الهزيمة .. وتخاذل الحكام ..

سلاح المؤمن .. إذا ضاعت الأبناء .. وعبثت الفتيات .. وانهدمت أركان الأسرة .. وعصت الزوجة زوجها

سلاح المؤمن ..إذا ضعفت الذاكرة وقل التحصيل .. وتلاشى التفكير .. وتأخرت دراسيا

سلاح المؤمن .. إذا ضاقت اليد من ضيق الرزق .. وتلهفت لا لتماس عمل يوسع الحد فتزاحمت الوساطة ..

سلاح المؤمن .. إذا تمكن الإصرار على الذنب .. وزاغت العيون للنظرات .. ولا فائدة ولا مقوم

سلاح المؤمن .. إذا اجتمع الأعداء وبدأ العداء والتفت حول رقبتك الشكوك

سلاح المؤمن .. إذا ضاقت الفتاه ذرعا من الحجاب .. وضاع المروءة والحياء .. ومحاولات التصحيح عنوانهـــا الفشل

سلاح المؤمن .. إذا اشتد أذى الجار .. وود لو أن بيتك انهار.. ورمزه معك الأذى وسوء الجوار

سلاح المؤمن .. إذا استهزأ الأصحاب .. وابتعد الأحباب .. فأهملوا إنسانيتك .. ولوثوا شخصيتك ..

سلاح المؤمن .. إذا اعترضتك مشكلة .. ولم تدر كيف التصرف .. الجأ لربك واستفتيه وسله أن يوجهك ..

كل هذا لأن " **الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء** " (حسن : رواه ابن عمر انظر الحديث رقم ٣٤٠٩ صحيح الجامع)

٢- ستنال بغيتك

" وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان .... " تولى الله الرد على هذا السؤال .. آية تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة والود المؤنس والرضى المطمئن والثقة واليقين .. وفي ظل هذا الأنس الحبيب والقرب الودود وهذه الاستجابة الروحية ...

ولعلها تتندى على قلبك فتشرحه وتفتح مسامعه مما يزيد إقبالك على الله .. ولعل هذه التطوافه تنعش طيات روحك فاسمع يقول (ص) " **إن الله تعالى حي كريم يستحى إذا رفع الرجل يديه أن يردها صفرا** خائبين " (صحيح : رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم وابو داود عن سلمان انظر الحديث رقم ١٧٥٧ صحيح الجامع) ..

٣- رحمة الله إليك

قال تعالى " وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين " فما دام العبد يلح فى الـــدعاء ويطمـــع فـــى الإجابة غير قاطع الرجاء فهو قريب من الإجابة ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له " (أسباب المغفرة /١٨)

لذا قال (ص) " **من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء** " (حسن : عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٦٢٩٠ صحيح الجامع)

..ويستعرض تك العبارة الإمام الحليمى " المراد بهذا الدعاء فى الرخاء هو دعاء الشفاء والشكر والاعتراف بالمنن وسؤال التوفيق والمعونة والتأييد والاستغفار لعوارض التقصير فان العبد وان اجتهد لم يعرف ما عليه من حقوق الله بتمامها ومن غفل عن ذلك فلاحظ له وكان ممن صدق عيه قوله تعالى " فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ".. والأولى أن يقال كان ممن صدق عليه قوله تعالى " وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو إليه من قبل ".. وقوله تعالى " وإذا أنعمنا على الإنسان اعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض " وقوله تعالى " وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه " (تحفة الذاكرين /٢٣)

٤- غضب فدعاء فإجابة فمغفرة

ولعل حديث النبي (ص) يفرحك " والذي نفسي بيده إن العبد ليدعو الله تعالى وهو عليه غضبان فيعرض عنه ثم يدعوه فيقول الله تعالى لملائكته : أبى عبدي أن يدعو غيري فقد استجبت له " ابن السني والحاكم .. ونصحك سفيان الثورى " لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه فإن الله تعالى أجاب إبليس لما قال : أنظرني إلى يوم يبعثون " (نزهة المجالس /١٢٣)

٥- يرد القضاء ويصارع البلاء

قال (ص) " **لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة** " (حسن : رواه الحاكم عن عائشة انظر الحديث رقم ٧٧٣٩ صحيح الجامع)

وقبل أن تسأل يجيبك الإمام أبو حامد الغزالى " اعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يعتلجان " أفهمت أم اشرح لك ؟

صفتان .. اهرب منهما

أ- أعجز الناس

قال (ص) " **أعجز الناس من عجز عن الدعاء** " (صحيح : رواه الطبرى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ١٠٤٤ صحيح الجامع) ..

أعجز الناس من احتمى بالناس .. أعجز الناس من يشتكى ربه للناس ..

فيا من كان له قلب فمات .. ويا من كان له وقت ففات .. استغث بمولاك .. ولا تعجز عن الدعاء .. فتكون أعجز الناس .. وأقلها أن تحضر فى السحر .. فإنه وقت الأذن العام ..واصطحب رفيق البكاء فانه مساعد صبور .. وابعث رسائل الاعتذار وبرقيات الصلح وخطابات المناجاة .. لترتشف جرعة الشفاء .. وتنهل الدواء .. فتصير انشط الناس واعبد الناس وأحسن الناس ..لذا ناداك بصيغة أخرى " **لا تعجزوا فى الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد** " (رواه الحاكم عن أنس انظر الحديث رقم٦٢٤٦ ضعيف الجامع).

ب- يغضب الله عليه

قال (ص) " **من لم يسأل الله يغضب عليه** " (صحيح : رواه الترمذى عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٢٤١٨ صحيح الجامع)

يغضب عليه :

لأنه تخلى عنه .. ورأى الفضل لغيره .. لأنه شاهد النعم ولم يشكر المنعم .. وأكل الثمر ولم يشكر الصانع .. وارتوى الماء ولم يحمد الراوى .. واستسقى من الرزق وأهمل الرازق ..

يغضب عليه :

لأنه نسيه فى حياته .. فكيف يعتكف العبد بعيدا عن محرابه .. وكيف يثمر النبات بلا حرارة أو ماء أو هواء ..وكيف ينبت الثمر بلا راع أو غارس .. وكيف يرى النور أعمى .. أو يسمع عذب الكلام أصم .. أو يغرد الأناشيد أبكم .. معرفة الرب غرس فى القلب والتذكار ماء ..ومتى جفت المياه جفت الشجرات .. العقل ما ينسى إنما الحس مغفل ..

وسبب النسيان أمراض القلوب ..

فيا من شاب وما تاب ولا أصلح .. يا معرضا إلى ما يؤذى عن الأصلح ليت شعرى إذا نلت غضب ربك .. فبماذا تفرح ؟ ما أشنع نسيانك وهجرانك ..ألا يا ثقيل النوم .. يا بطىء اليقظة ..

أما ينبهك الأذان ؟.. أما يلفت الكلام ؟
أم نخاطب أعجمى الفهم .. ونحن من الصين !!..

يا مسكين

اسأل مولاك واشكره على ما هداك واهرب من فئة " يغضب عليه " وان لم تعد فتذكر موقفك وأنت تستغيث " رب ارجعون " فيقال " كلا " ألا كان هذا قبل هذا !.. " دليل على أن دعاء العبد لربه من أعظم الواجبات وأعظم المفروضات ويدل على أن ترك دعاء العبد لربه من الاستكبار وهذا الاستفهام " من لم يسأل الله " هو للتوبيخ ومن هذا قوله " قريب أجيب دعوة الداع ".. وأن هذا التعليل بالقرب ثم الوعد بعده بالإجابه يقطع كل معذرة ويدفع كل تعلة " (تحفة الذاكرين بتصرف يسير /٢٢)

مطبات تعرقل الإجابات :

١- هواه جمع الحرام

قال (ص) " **يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال** " **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا** " **وقال** " **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** " **ثم ذكر الله يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء : يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له** "(حسن : رواه مسلم وأحمد والترمذى عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٢٧٤٤ صحيح الجامع)

مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام .. فصارت حياته كلها حرام فى حرام ..فمن يدعو ؟ ومن يسأل ؟ وهو لم يدرى أن ربه يراه وعما قريب سيلقاه .. وأنكر وجود الملائكة الكرام الكاتبين عن اليمين والشمال .. فصارت الدنيا عنده متاهة .. وصار ذكر الجنة أو النار لديه لغة لاتينية ومراسم خيالية .. فكيف يستجاب له ؟

٢- قلب لا يزال غافل

قال (ص) " **واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه** " (حسن : رواه الترمذى والحاكم عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٢٤٥ صحيح الجامع)

.. وهاهو **يحى بن معـــاذ** يدعو " اللهم لا تجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان ويهرب بالقلوب ".. ذلك لان الدعاء فن لا يجيده إلا الفقراء .. ولا يحسنه إلا العباد .. تحن إليه قلوب الطائعين .. وتشتاقه أفئدة العابدين .. فكيف لغافـــل .. لسانه يردد الكلمات .. وقلبه سابح فى المشكلات .. وعقله يجوب البلاد ..

ذلك لأنك حين تقصد رئيسك فى العمل أو أستاذك فى الدراسة ترتدى أحسن الثياب وتنتقى أعذب الكلمات .. ويكون رسمك الأدب والاحترام .. كى يسمع لك .. ويلبى طلبك .. ويقبل سؤلك .. فيا سبحان الخالق .. بشر يطلب مـــن بشر هذا حاله .. فكيف حالك أنت مع رب البشر ؟

أفيقوا يا سادة :

أتغفل وأنت الذى تريد ؟ أتغفل وأنت الطالب ؟

أتغفل وأنت الشاكى والباكى ؟ أتغفل وأنت المحتاج ؟

أتغفل وأنت التائه الذى يريد الدليل ؟

أتغفل وأنت الضائع التى تناشد الهداية ؟

أتغفل وأنت الرابح يا قليل البضاعة ؟

لك الحديث يا معرض .. أنت المراد يا غافل ..

أما تمل الغفلة والبعد ؟ أما تقبح هجر الدعاء ؟

أما من ظل على حاله لا يلتفت للكلام .. ولا يهفو للتغيير ..

فأقول له : لا يعرف البر إلا السائح .. ولا البحر إلا السابح ..

ولا الزناد إلا القادح .. ولا الدعاء إلا عابد ..

والسلام

٣- استعجال مرفوض

أذكرك بما قاله (ص) " **لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل قالوا : يا نبى الله وكيف يستعجل ؟ قال : يقول : دعوت الله فلم يستجب لى**" صحيح .. ويشرح **ابن رجب** " نهى أن يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الإجابة وجعل ذلك من موانع الإجابة حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعاءه " (أسباب المغفرة لابن رجب /٦)

ولو طالت المدة فإنه سبحانه يحب الملحين فى الدعاء وجاء فى الآثار " إن العبد إذا دعا ربه وهو يحبـــه قـــال يـــا جبريل لا تعجل بقضاء حاجة عبدى فإني أحب أن اسمع صوته " ويضع حجر الزاوية يزيد لرقاشى حين قال عـــن أنس مرفوعا " ما من عبد يقول : يا رب يا رب يا رب إلا قال له ربه : لبيك لبيك " (جامع العلوم والحكم /)

وأقتل الموضوع بحثا بقول يحي عندما رأي ربه في المنام فقال : يا رب كم أدعوك ولا تجيبني ؟! فقال : يا يحى إني أحب أن اسمع صوتك !!..

وأنت يا مقصر :

ألا تحب أن يسمع الله صوتك ؟!...

نحن ندعو الإله فى كل كرب ... ثم ننساه عند كشف الكروب

كيف نرجو إجـــابة الدعـــاء ... قد ســـددنا طـريقها بالذنوب

قف.. واحذر

* قال (ص) " **لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم** " (صحيح : رواه مسلم والنسائى عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٥٤٧٩ صحيح الجامع)

مجرى من ثلاثة :

وهو ما لخصه النبي (ص) في قوله " **ما من داع يدعوا الله إلا أتاه بها إحدى ثلاث : إما أن يجعل له حاجته وإما أن يعطيه من الخير مثلها وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها** " الترمذى .. ويشرح **ابن رجب** " سـبب صـرف الإجابة عن العبد ومن رحمة الله تعالى بعبده أن العبد يدعوه بحاجة من الدنيا فيصرفها عنه يعوضه خيرا منها : إما أن يصرف عنه بذلك سوءا أو يدخرها له فى الآخرة أو يغفر له بها ذنبا " (أسباب المغفرة /٨)

ردود وتساؤلات:

س١ : يتطرق إليك إبليس ليغيم عليك بسحب الحزن وتتساءل مالي أدعو ولا يستجاب لي ؟!..

ج١ : ويرد **ابن الجوزي** بأسلوبه المقنع البديع " رأيت من البلاء العجاب أن المؤمن يدعو فلا يجاب فيكرر الدعاء وتطول المدة ولا يرى أثر الإجابة فينبغي له أن يعلم أن هذا البلاء يحتاج إلى الصبر وربما رأيت الشيء مصلحه والحق أن الحكمة لا تقتضيه وقد يكون التأخير لآفة فيك ربما يكون فى مأكلك شبهة أو قلبك وقت الدعاء فى غفلـة أو تزداد عقوبتك فى منع حاجتك لذنب ما صدقت فى التوبة منه .. وربما كان فى حصوله زيادة فى الإثم أو تأخير عن مرتبة خير فكان المنع أصلح وربما كان فقد ما تفقده سببا للوقوف على الباب واللجأ إلى الله وحصوله سببا فى الانشغال عنه " (صيد الخاطر /٥٨-٥٩ بتصرف)

س٢ : فإنه نزلت بي نازلة فدعوت فلم أر الإجابة

ج٢ : أخذ إبليس يجول في حلبات كيده فقال : كم تدعوه ولا ترى إجـابة ؟ " فقل له : أنا أتعبد بالدعاء وأنا مؤمن أن الجواب حاصل فإياك أن تسأل شيئا إلا وتقرنه بسؤال الخيرة قرب مطلوب من الدنيا كان حصوله سببا للهلاك " (خواطر الفجر / ٣٧٣)

** مناجاة تشد إلى الملك

سهل لك الأمر **سهل بن عبد الله** " خلق الله تعالى الخلق وقال : ناجوني فإن لم تفعلوا فانظروا إلي فإن لم تفعلـوا فاسمعوا مني .. فإن لم تفعلوا فكونوا ببابي فإن لم تفعلوا فأنزلوا حاجاتكم بي "..

*كان **داود** إذا دعا في جوف الليل يقول: نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم اغفر لي ذنبي العظيم فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا العظيم إليك رفعت رأسي نظر العبد الذليل إلى سيده الجليل ".

* كان من دعاء **يوسف** " يا عُدتي عند كربتي ويا صاحبي في غربتي ويا غايتي عند شدتي ويا رجائي إذا انقطعت حيلتى اجعل لي فرجا ومخرجاً ".

* كان **عبد الله بن ثعلبة البصري** يقول " اللهم أنت من حلمك تُعصى وكأنك لا ترى وأنت من جـودك وفضـلك تُعطي وكأنك لا تُعطي وأي زمان لم يعصك فيه سُكان أرضك فكنت عليهم بالعفو عواداً وبالفضل جَوَاداَ " .

* كان من دعاء **علي بن الحسين** " اللهم إني أعوذ بك أن تُحسن في مرأى العيون علانيتي وتقبح في خفيات القلوب سريرتي اللهم وكما أسأت فأحسنت إلي إذا عدت فعد علي وارزقني مواساة من قترت عليه ما وسـعت علـي "..(العقد الفريد)

قال النبى (ص) " **إذا دعا أحد فلا يقل : اللهم اغفر لى ان شئت وليعزم المسألة وليعظم الرغبة فإن الله لا يعظم عليه شئ** أعطاه " (صحيح : رواه مسلم عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٥٣٠ صحيح الجامع)

.. ولهذا نهى العبد أن يقول فى دعائه " **اللهم اغفر لى إن شئت ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له** "

إن الحبيب (ص) بهذا الحديث يضيف إلى الأذهان أن الدعاء ليس ترديد كلمات أو سرد العبارات بل انه يحتاج لهمة عالية ويقظة دائمة .. نعم اخى .. نعم أختاه .. يريد همة عالية فلهذا عظم المسألة .. ادعوا الكبير .. وناج المهيمن ..

أخوتاه ..

اتخذوا الدعاء حرفة لكم وافتحوا معه للقلوب طريق ولا تتعمدوا ترتيب الألفاظ أو تهذيب الثناء .. فأنت تدعوا ربك .. الذى يعلم بحالك ويلم بأمرك فى كل صغيرة كانت أو كبيرة ..

اخى .. أختاه .. أقول لك انفتح مع ربك فى الدعاء .. اهدم الحواجز وأذب الصخور واعبر الجسور .. فلا احد يسمعك إلا هو .. ولا شخص يكتب ما تقول .. فادعوا بأسلوبك .. بألفاظك .. بكلماتك .. لا تعرقل الطريق بالسجع أو النثر .. لأن ما تقوله لن ينشر فى كتاب .. ولن تقام له الألحان فى شريط .. ولن يلقى فى ندوة أو ينثر فى محاضرة .. بل أنت الذى تدعوا .. فادع بما تشاء وكيفما تشاء ووقت ما تشاء .. وليس من شروط الإجابة أن تكون خطيبا جهوريا أو شاعرا مفوها أو مطربا مغردا ..

لا والله ..
فالله يحبك أنت ويسمع دعائك أنت .. فاقبل نفسك كما هى ..
وصدقنى حينئذ رزقت قلبا منيرا وروحا طاهرة ونفسا زكية
وإجابة مرضيه ..

** حين يستجيب الرب

١- وصفة ابن عطاء

يقول **ابن عطاء** " الدعاء أركان وأجنحة وأوقات وأسباب .. فإن وافق أركانه قوى وإن وافق أجنحته ارتفع وإن وافق أوقاته فاز وإن وافق أسبابه نجح .. فأركانه حضور القلب مع الله تعالى والخشوع لله والحياء من الله ورجاء كرم الله وأجنحته الصدق وأكل الحلال وأوقاته أوقات الفراغ والخلوة كالأسحار وأسبابه الصلاة على النبى (ص) فإن الدعاء لا يرد إذا كان قبله وبعده الصلاة على النبى (ص) " (طهارة القلوب /٣٢٩)..

٢-انتهاز الأوقات

قال (ص) " **إن فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ؛ وذلك كل ليلة** " (صحيح : رواه مسلم وأحمد عن جابر بن عبد الله انظر الحديث رقم ٢١٣٠ صحيح الجامع)

.. والأوقات بين الآذان والإقامة ..

٣- الحضور والوعى

حضور القلب وعلى يقين بالإجابة مع صدق التوكل ولذلك نادى مورق بن العجلى " ما وجدت المؤمن إلا مثل رجل فى البحر على خشبة فهو يدعو : يا رب يا رب لعل الله عز وجل أن ينجيه "

وقد صرح الحبيب (ص) " ان هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فإذا سألتم الله فاسألوه وأنتم واثقون بالاجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاء من دعا عن ظهر قلب غافل " قال (ص) " **يا أيها الناس اربعوا على انفسكم فإنكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم** " (رواه الطبرانى عن ابن عمر انظر الحديث رقم ٢٠٢٧ ضعيف الجامع)

رواه البخارى ومسلم وابو داود عن ابى موسى الاشعرى انظر الحديث رقم ٧٨٦٤ صحيح الجامع)

٤- الثناء والحمد والصلاة

وقال **عبد الله بن عباس** " إذا دعوتَ الله فاجعل في دعائك الصلاة على النبي (ص) فإن الصلاة عليه مقبولة والله أكرم من أن يقبل بعض دعائك ويرد بعضاً ".. (العقد الفريد) ..

وكذا اخفض صوتك لحديثه (ص) " قال (ص) " **يا أيها الناس اربعوا على انفسكم فإنكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم** " (صحيح : رواه البخارى ومسلم وابو داود عن ابى موسى الاشعرى انظر الحديث رقم ٧٨٦٤ صحيح الجامع)

أخى : نظف طرق الإجابة من أوساخ المعاصى وانظر فيما تطلبه هل هو لإصلاح دينك أو لمجرد هواك ؟

كن فى إلحاحك كالطفل الصغير بين يدى مولاك يكن لك ما تريد ..

٥- كى يسلم الطريق :

قال الشيخ العلامة **أبى عبد الله بن على بن هماء** " تجنب الحرام مأكلا ومشربا وملبسا والإخلاص لله وتقديم عمل صالح والوضوء واستقبال القبلة والثناء على الله والصلاة على نبيه أولا وأخرا وبسط يديه حذو منكبيه والخشوع والمسكنة والخضوع وان يسأل الله بأسمائه العظام والأدعية المأثورة ويعترف بالذنب ويبدأ بنفسه ويسأل بعزم ورغبة وجد واجتهاد ويحضر قلبه ويحسن رجاءه ويكرر الدعاء ويلح فيه ولا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم ولا بأمر قد فرغ منه ولا بمستحيل ويسأل حاجته كلها ويمسح وجهه بيديه بعد فراغه ولا يستعجل أو يقول دعوت فلم يستجب لى " (تحفة الذاكرين /٣٤)

٦- وصية من البنا :

ينصحك الإمام **حسن البنا** " يا أخى لعل أطيب أوقات المناجاة أن تخلو بربك والناس نيام والخليون هجع قد سكن الكون كله وأرخى الليل سدوله وغابت نجومه فتستحضر قلبك وتتذكر ربك وتتمثل ضعفك وعظمة مولاك فتأنس بحضرته ويطمئن قلبك بذكره وتفرح بفضله ورحمته وتبكى من خشيته وتشعر بمراقبته وتلح فى الدعاء وتجتهد فى الاستغفار وتفضى بحوائجك لمن لا يعجزه شيء ولا يشغله شيء عن شيء إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وتسأله دنياك وأخرتك وجهادك ودعوتك وأمانيك ووطنك وعشيرتك ونفسك وإخوانك "(رسالة المناجاة/)

٧- جدد إيمانك

روى **النسائى عن يعقوب بن عاصم** عن رجلين من أصحاب رسول الله أنهما سمعا النبى (ص) يقول " ما قال عبد قط : لا اله إلا الله وحده لا شريك له ؛ له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .. مخلصا بها روحه مصدقا بها قلبه ناطقا بها لسانه إلا فتق الله له السماء فتقا حتى ينظر إلى قائلها من الأرض ! وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله " (رواه النسائى عن يعقوب بن عاصم)

٨- علامة شوكانية

انظر حال **الإمام الشوكانى** " علامة استجابة الدعاء الخشية والبكاء والقشعريرة ويكون عقيبه سكون القلب وبرد الجأش وظهور النشاط باطنًا والخفة ظاهرًا حتى يظن الداع أن على كتفيه حلة ثقيلة فوضعها عنه وحينئذ لا يغفل عن التوجه والإقبال والصدقة والأفضال والحمد والابتهال وأن يقول الحمد الذى بنعمته تتم الصالحات " (تحفة الذاكرين /٥٨) ..

٩- ختامه مسك:

قال (ص) " **إذا سأل أحدكم ربه مسألة فعرف الإجابة فليقل : الحمد الله الذى بعزته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال** " (صحيح : رواه البيهقى فى الشعب عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٥٣٧ ضعيف الجامع)

** من الطارق؟

* كان **صالح السرى** يقول كثيرًا " من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له فقالت له رابعة : إلى من تقول هذا ؟ متى أغلق الباب حتى ينفتح فقال صالح : شيخ جهل وامرأة علمت ..

* وهو حال إذ يقول **يحيى بن معاذ** " إلهي كيف أدعوك وأنا عاص ؟ .. وكيف لا أدعوك وأنت كريم ؟!! "..

* ورأى حالك **محمد الكتاني** فقال " لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة إلا لفتح باب المغفرة " ..

* ويزيدك **ثور بن يزيد** " إذا وقف السائل على الباب وقفت الرحمة معه قبلها من قبلها وردها من ردها ومن نظر إلى مسكين نظر رحمة نظر الله إليه نظر رحمة ومن أطال الصلاة خفف الله عنه القيام يوم القيامة (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ومن أكثر الدعاء قالت الملائكة : صوت معروف ودعاء مستجاب وحاجة مقضية " (مع العارفين /٩٨)

* لما صاف **قتيبة بن مسلم** الترك هاله أمرهم فقال : أين **محمد بن واسع** ؟ فقيل : هو فى أقصى الميمنة جانح على سيفة قوسه يومىء بإصبعه نحو السماء فقال قتيبة : تلك الأصابع الفاردة أحب إلى من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير فلما فتح علبهم قال له ما كنت تصنع ؟ قال بن واسع : آخذ لك بمجامع الطرق(صيد الخاطر /١١٣)

صيدلية خاصة

يقول صاحب الحدائق " إذا شكوت من قسوة قلبك وإعراضه وغلظته ولهوه فعليك بترياق ومرهم معروف ودواء شهد بنفعه الرسل عليهم السلام ونصح به الصالحون وحمده المجربون انه الدعاء فلا مثل للدعاء أبدا فاستمر عليه وأكثر منه وادع بصلاح قلبك وعملك خاصة فى السجود وأدبار الصلوات وساعة الجمعة بإخلاص وحضور فسوف تجد فى قلبك من الرقة والخشية والإنابة خاصة إذا أدمنت الدعاء وأكثرت فى المسألة وألححت فى الطلب فلا صلاح إلا من عنده ولا نفع إلا من هناك " ادعونى استجب لكم "

** وقبل السلام

يا صاح :

داوم طرق باب الله يومياً ولا تحرم نفسك فيوض هذه اللحظات الربانية التي يتذوق فيها الإنسان مدى قربه من مولاه ومدى قرب مولاه منه لا تضيع هذه الفرصة التي تغيظ بها شيطانك لوصولك إلى الله بأسهل الطرق!!..

اجعل فى دعاءك نصيب لإخوانك المجاهدين..

ما لنا لا يستجاب لنا ؟!

مر **إبراهيم بن ادهم** بسوق البصرة فاجتمع إليه الناس فقالوا له : يا أبا إسحاق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟!قال : لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء :

الأول : عرفتم الله تعالى فلم تؤدوا حقه ..

والثانى : زعمتم أنكم تحبون رسول الله (ص) وتركتم سنته

والثالث : قرأتم القرآن ولم تعملوا به

والرابع : أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها

والخامس : قلتم أن الشيطان عدوكم ووافقتموه

والسادس : قلتم أن الجنة حق ولم تعملوا لها

والسابع : قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها

والثامن : قلتم أن الموت حق ولم تستعدوا لها

والتاسع : إذا انتبهتم من النوم اشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم

والعاشر : دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم " (طهارة القلوب /٣٣١-٣٣٢)

هزات إيقاظ

أخي حبيب رسول الله .. لا تترك فرصة للشيطان ليثبطك عن الدعاء

وأطرح عليك سؤالاً :

هل أنت الذي تريد أم من الذي يريد ؟!..

اعلم أخى أن الله هو الذي يختبرك وليس أنت..

ويروى لك مفتى مكة التابعى الجليل **عطاء بن رباح** عن صاحبه طاوس قوله " قال لى **طاوس** : يا **عطاء** لا تنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه وجعل عليها حجابه ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة أمرك أن تدعوه وضمن لك أن يستجيب " (صفة الصفوة /٢/٢٨٧)

وطمئنك حبيب قلبك (ص) " **من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة** " ومن منطلق هذا أخبرك **أمير المؤمنين عمر** " إنى لا أحمل هم الإجابة بقدر ما أحمل هم الدعاء" (مع العارفين /٩)..

همسة :

قال **لقمان لابنه** : " يا بنى عود لسانك الاستغفار فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائلاً وقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار " فاعلم انه لا إلا الله واستغفر لذنبك "

العلامة الرابعة ..

أرواح فى السماء

ضربة البداية

يا هذا : جسدك كناقة يحمل راكب القلب .. فلا تجعل القلب مستخدما فى علف الراحلة ..
فإن قلبك يتظلم من سوء عملك وكثرة سهوك ...
فقد امتلأت به خبات القسوة ومزابل التفريط .. وشربته من كاس الغفلة ..
فإذا أردت لحاق السادات فاترك على الفور الوسادة .. وشيد بقلبك قلعة الخشوع ..
فهذا هو الدواء .. فإذا تناولته ثم مت فمكانك حتما "
فى مقعد صدق عند مليك مقتدر "
لذ نعيمهم وطاب .. ودار تكريمهم وزال العتاب ..
ونجوا من ورطات الحساب .. فأشرقت ديارهم وفتحت لهم الأبواب

*** الغنيمة الباردة

الخشوع هو

قال **ابن رجب** " الخشوع هو لين القلب ورقته أو سكونه وخضوعه وانكساره وحرقته فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء لأنها تابعة له " (الخشوع فى الصلاة /٦) .. ونادى ابن عباس من يلتفت حوله منبها " الخشوع فى الصلاة أن لا يعرف المصلى من على يمينه وعن شماله " ونبه عمر ابن الخطاب قائلاً " إن الرجل ليشيب عارضاه ، في الإسلام وما أكمل من صلاة ".. أى لا يتم خشوعها .. فلا إتقان فى الحركات أو إدراك للآيات أو تقويما فى الأخلاقيات .. أو تأملا فى الدعوات .. فيستوعب عمره ويقطع مشوار حياته وطنه انه يصلى .. وانه أحرز سبق القبول وهو عند ربه شاب عارضاه .. وما أكمل له من صلاة .. أما علم أن الصلاة ليست هذه .. والطريق ليس من هنا ..

نوعان اثنان :

١ – خشوع الإيمان:

يعرفه **ابن القيم** " خشوع القلب لله بالتعظيم والمهابة فينكسر كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء وشهود نعمه فيخشع فيتبعه خشوع الجوارح ".

لذا فالخشوع ليس حكرا على إقامة بعض الركعات .. أو الحفاظ على الصلوات وحسب .. بل هو غرس فى القلب له ثمرة حلوة تزدهر فى النفس وتسمو بالروح وتمتطيها الجوارح .. ولكنها تبلغ ذروتها عبر جسر الصلاة أو عند الترنم بالأسحار أو وقت الخلوة مع القرآن ..

٢ – خشوع النفاق :

كان بعض الصحابة يقول " أعوذ بالله من خشوع النفاق : قيل : وما خشوع النفاق ؛ ..قال : أن يرى الجسد خاشعاً والقلب غير خاشع "..

وهذا حال فئة من الناس حين يصلى فى المسجد ويعلم بمن يراقبه أو يلقى بنظره إليه .. يتجمل فى صلاته ويرتدى ثوب الخضوع والإخبات .. ويغمض عينيه .. وتسكن جوارحه .. وتهدأ أنفاسه .. وتمتد سجداته .. وكأن جسده يقطر خشوعا .. وقلبه يعتصر تدبرا .. وعقله سابح حول العرش .. أما حين يغض الطرف عنه أو يلتقطها فى بيته .. فيلتفت من حوله كروغان الثعلب .. وينقرها نقر الديكة .. وبصره على ما يحيطه أبصر من العقاب .. وهرول فيها هرولة الغزلان .. فما أسرع إسفافها .. ومسابقة الزمان .. وتدافع الأنفاس فيخرج منها وما تعرف على ربه لحظة !!..علم **ابن الجوزى** حالهم فقال لهم منبهاً " إما أن تصلى صلاة تليق بمعبودك وإما أن تتخذ معبودا يليق بصلاتك ".. فوضعناها لك فى هذا الاطار

للخاشعين فقط :

* قال (ص) " **إذا قال أحدكم فى الصلاة : آمين ؛ وقالت الملائكة فى السماء : آمين ؛ فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه** " (صحيح : رواه البخارى ومسلم والنسائى ومالك عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٧٠٤ صحيح الجامع)

* قال (ص) " **إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ؛ فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه** " (صحيح : رواه الطبرانى عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٧٠٦ صحيح الجامع)

أسوأ الناس

أيها الساهى:

لا تضحك على نفسك.. واحذر " **أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا ركوعها** " (صحيح : رواه أحمد والحاكم عن ابى قتادة انظر الحديث رقم ٩٨٦ صحيح الجامع)

حديث خطير .. فكم من سورة فاتحة قرأناها بلا تدبر ؟ كم من ركعة وسجدة مرت دون الشعور بها ؟! أين سبحان ربى العظيم وأين سبحان ربى الأعلى ؟!...

أخى .. أختاه ..

أريد دق أجراس الانتباه لما مر .. أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته .. تخيل يسرق من صلاته .. لقبه النبى " **أسوأ الناس** " فما بالك بعبد خاصم ربه ولا يصلى .. ولا يعرف طريق المسجد .. ومولى وجهه قلبه إلى الدنيا وحسب .. وليس لديه للصلاة متسع .. وليس للوقوف أمام ربه متبع .. ولا لخوض تجربة دخول النور لقلبه مكان ..

فاسمع يا من أبعدته الخطايا عنهم .. لابد والله من قلق وحرقة وعزم ونية وصلاة وقرآن إما فى زاوية التعبد .. وان لم يكن ففى هاوية الطرد ..

أما آن لك أن تحرق قلبك بنار الندم على هذا التقصير ؟ والخوف من سؤ المصير ؟

وإلا فنار جهنم اشد حرا .. ولذا نادى بعضهم **يوسف بن أسباط** " يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقى أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بينى وبين ذلك " ..
الخشوع المفقود
أرهبنا **حذيفه** " أول ما تفقدون من دينكم الخشوع وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة ورب مصل لا خير فيه ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعاً " (مختصر منهاج القاصدين) وهو ما أكده من قبل الحبيب (ص) " **أول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعا** " صحيح ..

ما تعليقك ؟!...

أخى .. لقد ربح وأنت نائم .. وكسبوا ورجعوا بالغنائم .. يا هذا .. ما الذى يغنى عنك وقوفك بالمحراب وقلبك من التقوى خراب ؟ .. وعملك كالسراب ؟ ..

إصرارك على الغفلة والضياع كالصحيحين !!..
أما خبر خشوعك وانكسارك وانتباهك فحديث موضوع !!..

فيا هذا .. الأجر لا ينال إلا بالتعب .. والربح لا يدرك إلا بالطلب ..
عتاب لا عقاب
فيا أرباب القلوب القاسية لا تيأسوا من روح الله ومع التعلم والتصبر والتدرب سيخشع القلب وتمطر العين .. ويزيدك ابن القيم وضوحا ليصف لك حال الخاشع لعلها تهز عقلك " الخاشع لله هو عبد قد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذى حُشى به وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمأن إلى الله وذكره بالسكينة التى نزلت عليه من ربه فصار مخبتا له .. والمخبت المطمئن فإن الخبت من الأرض ما اطمأن فاستنقع فيه الماء فكذلك القلب المخبت قد خشع واطمأن كالبقعة المطمئنة من الأرض التى يجرى فيها الماء فيستقر فيه وعلامته أن يسجد بين يدى ربه إجلالا له وذلا وانكسارا بين يديه سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه " (الروح/٣١٤) ..

هل اشتقت ؟ .. ونويت ؟ .. واستعددت ؟
إذن هيا إلى التنفيذ والعمل

** معا نتعلم الخشوع :

خطوات قبلية

١- أحسن وضوءك :
وهو بداية موفقه للخشوع فى الصلاة فما صلح شىء إلا بصلاح أوله وكما قال (ص) " طهروا قلوبكم للقرآن " إسناده جيد .. وتسلى بهدية الوضوء .. قال (ص) " **إذا توضأ العبد السلم – أو المؤمن– فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء .. فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء .. فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ؛ حتى يخرج نقيا من الذنوب** " (صحيح : رواه مسلم عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٤٥٠ صحيح الجامع)

.. والى من يشتكون برد الماء وقسوة الشتاء .. اسمعوا وعوا فعن حُمران قال دعا عثمان ابن عفان بوضوء وهو يريد الخروج إلى الصلاة فى ليلة باردة فجئته بماء فغسل وجهه ويديه فقلت : حسبك الله والليلة شديدة فقال سمعت

رسول الله (ص) يقول (ص) " لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر الله له ما تقدك من ذنبه وما تأخر " رواه البزار بإسناد حسن

ومن ألطف ما أدركه عقلى أن استغل الوضوء واجعله وسيلة افعله فى ارتفاع مؤشـــر إيمـــانى وتنميـــة منســـوب خشوعى .. وان كان ذلك لم يرد على النبى (ص) ولكنه اجتهاد مع النفس عساها تربط على القلوب .. وتحصل ما نريد ..

فإذا اتجهت للمضمضة .. فتعلق بالشرب من زمزم .. والشرب من حوض الحبيب شربة لا ظمـــأ بعـــدها .. وان يهذب الله لسانك فلا يقول فى ما يرضاه لفظة أو يجلب السخط على صاحبه ولو فى سهوة .. وعند الاستنشاق .. ما أحلى تعلق الجنان بهبى يا ريح الجنة .. وعند إهدار الماء على الوجه ابرز القاعدة " يوم تبيض وجوه وتسود وجوه "..فاللهم بيض وجوهنا .. وتذكر نظرك إلى الرحيم الرحمن حين تحلق فى الجنان .. وعند غسل الذراعين " فأمـــا من أوتى كتابه بيمينه" والضفة المعاكسة " وأما من أوتى قلبه بشماله " ثم الذهاب للرأس .. اللهم اســـتخدمها فـــى التفكير للسلام وفى الدعوة إليك .. وعند الأذن .. تلهف لان تسمع أذناك خبر دخولك الجنة وهمس ربك فى أذنيك " عبدى إنى راض عنك فهل أنت راض عنى ".. ولا أتركك حتى أعطيك المفاجأة الربانية فقد روى أن أهل الجنـــة يقرأ عليهم الملك العزيز سورة الرحمن فتخيل نفسك وأنت مضجع على الصحب الكرام وأنت أختاه مع الحبيبـــات وربك يقول " الرحمن .. علم القرآن .. فاللهم لا تحرمنا هذا المكان .. ولا سماع هذه السورة منك فى جنتك .. يـــا أرحم الراحمين .. ثم القدمين فاللهم استعملهما فى كل خير وارزقهما فلاحا عند المرور على الصراط .. وان أطـــأ بها المسجد الأقصى وادلف بها الفردوس الأعلى وخذ بحجزها عن النار .. فأعتقد أن تعاملك مع الوضـــوء بهـــذه التطوافة ومن يزد أو يضف فله مطلق الحرية يؤهلان للدخول على الله .. فتشعر بالحنين إلى الصلاة .. وكان هذا التهيؤ قبل الصلاة واضحا كثير بن عبيد الحمصى الذى أَمَ أهل حمص ستين سنة كاملة ولم يسهو فأرجأ السبب " ما دخلت المسجد قط وفى نفسى غير الله !! ".. (الرقائق)

٢- لب النداء

يقول **أبو حامد الغزالـــى** " إذا سمعت نداء المؤذن فاحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك بالبشرى والفوز يـــوم القضاء لذا قال (ص) " أرحنا بها يا بلال " " واقتبس لك من مشكاة الحبيب تلك البشرى .. فعن عبد الله بن عمر أن رجلا قال : يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا (يزيدون علينا فى الثواب) ؛ فقال رســـول الله (ص) " **قـــل كمـــا يقولون فإذا انتهيت فسل تعط** "(صحيح : رواه أحمد والنسائى وابن حبان وابو داود عن ابن عمرو انظر الحديث رقم ٤٤٠٣ صحيح الجامع)

٣- قوة المقتضى وزوال العارض :

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** " الذى يعين على الخشوع شيئان ..

قوة المقتضى : فاجتهاد العبد فى أن يعقل ما يقوله وما يفعله ويتدبر القراءة والذكر والدعاء ويستحضر انه مناج لله تعالى كأنه يراه فإن المصلى إذا كان قائما فإنما يناجى ربه "..

زوال العارض : الاجتهاد فى دفع ما يشغل القلب من تفكر الإنسان فيما لا يعنيه وتدبر الجواذب التى تجذب القلب عن مقصود الصلاة وهذا فى كل عبد بحسبه فإن كثرة الوسواس بحسب كثرة الشبهات والشهوات وتعليق القلب بالمحبوبات التى ينصرف القلب إلى طلبها والمكروهات التى ينصرف القلب إلى دفعها " (مجمع الفتاوى /٦٠٦/٢٢)..

٤- لغة حاتم :

يروى عن **حاتم الأصم** انه سئل عن صلاته فقال " إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء واتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتى وأجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورائي وأظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الخوف والرجاء واكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع .. ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا ؟!! (الإحياء /١/١٥١)...

هل منا حاتم الآن ؟!

٥ – عظمة الخالق :

قبل الصلاة انتبه دقيقة واحدة استشعر فيها عظمة الخالق وكم ستر عليك من فضائح معصيتك وكم أنعم عليك رغم إساءتك وكم تكاسلت عن شكر نعمه ..وأدرك بلب قلبك انك أمام مالك الملكوت العظيم الجبار المتكبر..عش في ظلال فقرك لله وحقارة نفسك أمام ملكوته ويفيدك صاحب الإحياء " اعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره فى ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها فى الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتقسيم الخواطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهى عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغرة فالدواء **هو إحضار القلب وتعظيم الرب** " (الإحياء /١/١٦٨)

هو إحضار القلب .. وتعظيم الرب

٦- أدرك فضل الخشوع

قال (ص) " **ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله** " (صحيح : رواه مسلم عن عثمان انظر الحديث رقم ٥٦٨٦ صحيح الجامع)

وقال ص) " **إن العبد إذا قام يصلى أتى بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه** " (رواه البيهقى فى السنن الكبرى (٣/١٠) وانظر صحيح الجامع)..

ويعلق الإمام المناوى " المراد انه كلما أتم ركنا سقط عنه ركن من الذنوب حتى أتمها تكامل السقوط " (فيض القدير /٢/٣٦٨) .. لذا حين سئل بعض العباد : هل تذكر فى صلاتك شيئا ؟ قال : وهل شيء أحب إلى من الصلاة فأذكره فيها ؟!!

٧- اذكر الموت ..

نصح (ص) " **اذكر الموت فى صلاتك فإن الرجل إذا ذكر الموت فى صلاته لحرى أن يحسن صلاته وصل صلاة رجل لا يظن انه يصلى صلاة غيرها** " (حسن : عن أنس انظر الحديث رقم ١٨٤٩ صحيح الجامع)

اسمع يا من تحدثه الآمال فيستمع .. وتخونه الآجال فلا يرتدع .. وصل الصالحون إلى باب الصلاة يا منقطع فصلى صلاة مودع كما أوصى (ص) " **إذا قمت فى صلاتك فصل صلاة مودع** " (رواه احمد ٥عن ابى ايوب /٤١٢ انظر الحديث رقم ٧٤٢ صحيح الجامع)

ويستطرد أبو طالب المكى ليزيد المعنى قوة " إذا لم يكن فى قلبك للمذكور الذى هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك ؟ فصل صلاة مودع لنفسه .. مودع لما يهواه .. مودع لعمره .. سائر إلى مولاه " (قوت القلوب) ..

خطوات خلالية

١- الله أكبر

" إذا قال العبد الله اكبر اطلع الملك فى قلبه فإذا ليس فى قلبه اكبر من الله تعالى فيقول : صدقت الله تعالى فى قلبك كما تقول .. وإذا قال : الله اكبر واطلع الملك فى قلبه فإذا كل شىء فى قلبه اكبر من الله تعالى عنده فيقول له : كذبت ليس الله فى قلبك كما تقول " (قوت القلوب)

الله اكبر .. من همى ومشاكلى .. من نفسى وملكى

الله اكبر .. من حياتى ودنيتى .. من أولادى وزوجتى

الله اكبر .. من تركاتى وأموالى .. من عملى وتجارتى

الله اكبر .. من دراستى ومذاكرتى .. من مرضى وكسلى

فإذا تحقق " الله اكبر " فخذ معها نفسا عميقا طويلا يسدل المعنى آهات التحرر على الجسد ويكسى القلب ثوب الإجادة .. فتترجم عند الأداء .. وتكسر حاجز الولوج إلى ربك .. فلا تلهيك الملهيات .. أو تشغلك الانشغالات .. أعرفت إذن مغزى قول حبيبك (ص) " **إن أحدكم إذا قام يصلى فإنما يناجى ربه فلينظر كيف يناجيه** " (أخرجه الحاكم عن ابى هريرة ١ /٢٣٦ ؛ انظر الحديث رقم ١٥٣٨ صحيح الجامع)

٢- خف الموقف الثانى :

يرشدك **ابن القيم** " للعبد بين يدى ربه موقفان موقف بين يديه فى الصلاة وموقف بين يديه يوم لقائة بحق الوقوف الأول هون عليه الآخر ومن استهان ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف" .. فأين أنت من الخشوع ؟! ولذلك صارحك ابن عباس " ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ".. وهى برقية من مسلم بن يسار " إنك إذا كنت قائما بين يدى أمير أحببت أن يراك متخشعا لينجح لك حاجتك قيل فأين منتهى النظر فى الصلاة ؟ قال : موضع السجود حسن " (الزهد لابن المبارك /٥١٤/٢) .. وأشرح لك قال بعض الصحابة " يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئاتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم فيها واللذة .. ثم إصغاء القلب للفهم وخشوعه للتواضع وسكون الجوارح للهيبة ثم الترتيل فى القراءة والتدبر لمعانى الكلام وصدق الرغبة فى الطلب وإن مر بآية رحمة سأل ورغب أو آية عذاب فزع واستعاذ أو مر بتسبيح أو تعظيم حمد وسبح وعظم فإن قال بلسانه فحسب وان أسره فى قلبه ورفع به همه كفاه قصده عن المقال وكان فقره غاية السؤال "

٣- استعذ :

كان (ص) يستعيذ بالله فى صلاته فيقول " **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه** " أخرجه أبو داود والحاكم وصححه هو وابن حبان والذهبى ..

٤- اطمأن واهدأ :

قال (ص) " **مثل الذى لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا** " (حسن : انظر الحديث رقم ٥٤٩٢ صحيح الجامع)

.. ويرهبك **بلال** حين رأى رجلا لا يتم الركوع والسجود فقال فيه : لو مات هذا لمات على غير ملة محمـــد (ص)

.. واقطف لك من قوت القلوب هذه الثمرة " ما ذكر به العبد فى الصلاة من خاطر تمن أو هوى أو ذكر بهمه مـــا يأتى أو ما قد مضى فإن ذلك وسوسة اليه من عدوه حسدا له ليقطعه بذلك عن وقوف قلبه عند كل ركن من أركان الصلاة ليقطعه بذلك عن وقوف قلبه فى المناجاة بما يضره عما ينفعه ليحرمه بذلك أن يشهد عند كل ذكر من أذكار الصلاة ما يوجبه الذكر من تدبير أو تعظيم أو حمد أو دعاء أو استغفار " (قوت القلوب) ..

٥ - حسن صوتك :

قال (ص) " **إن من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعتمه يقرأ رأيت أنه يخشى الله** " (صحيح : رواه ابن ماجه عن جابر بن عبد الله انظر الحديث رقم ٢٢٠٢ صحيح الجامع)

.. وقال **إسحاق السلولى** حدثتنى **أم سعيد** قالت : كان بيننا وبين **داود الطائى** جدار قصير فكنت اسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ وربما ترنم فى السحر بالقرآن فأرى أن جميع النعيم قد جمع فى ترنمه وكان لا يسرج عليه **!!** (سير أعلام النبلاء /٧/ ٤٢٤).. وقال **الزمخشرى** فى الكشاف " ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشـــوعا " فقـــال " أي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين " (الكشاف /٢/ ٤٦٩)

ويترعرع جمال الخشوع ولذة الخضوع حين تخلو بنفسك وقد أرخى الليل سدوله .. وأسدلت ستائر النوم على العيون .. فتتحرى كتاب ربك وتتغنى بالآيات .. فيجوب القلب سماء الخشوع وتترقرق انهار الدموع ..

٦- تدبر واعقل :

يقول **الإمام الطبرى** " أنى لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله (تفسيره) كيف يلتذ بقراءته " وكان دأب النبى (ص) ما قاله عنه **حذيفة** " صليت مع رسول الله فكان إذا مر بآية رحمه سأل وإذا مر بآية عذاب تعوذ وإذا مر بآية فيها تنزيه لله سبح ".. (تعظيم قد الصلاة /١/ ٣٢٧)..

وخذ هذه .. قال الشيخ **محمد جمال الدين القاسمى** " وإذا كان الكفر لما سمعوا القرآن فى حال كفرهم قالوا : إن له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمورق وان له لثمرة وان له فى القلوب لصولة ليست بصولة مبطل **!!** فما الظن بالمؤمن التقى **؟!!** "

حقيقة .. منسية

من الخطوات الحثيثة لاقتناص صيد الخشوع هو ببساطة تغيير الآيات التى اعتدت قراءتها .. ولا تندهش حين أتلو على مسامعك أن هناك أناسا يصلون منذ سنين عدة بآيات محفوظة لا تتغير وربما لم يتدبرها ولو مرة واحدة ..ولذا نقول كى لا تمل النفس وتكل الروح ويسأم القلب العادة .. فاستعن بالجديد من الآيات .. أو البحـــث فـــى الـــذاكرة القرآنية سواءا كنت حافظا أم غاب فى ذاكرة المجهول أو حبس فى زنزانة النسيان .. فالجديد يبعـــث فـــى القلـــب نشاطا وفى الروح مرحا ..وكلاهما يصب فى مجارى القلب ليسيل ماء الخشوع على اللسان والجوارح .. فتجد فى الصلاة الحلاوة .. وللقرآن الطلاوة .. فلا تستثقل الصلاة ولا تضيق منها ذرعا .. ولا يركبك الهم عند سماع النداء .. لأن الآية صريحة وواضحة " وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين "

فحتى متى لا تصحو وقد قـــرب المدى ... وحتى متى ينجاب عن قلبك الشكر
بل سوف تصحو حين ينكشف الغطا ... وتذكر قـــولى حين لا ينفـــع التذكـــير

وبزغ هذا الأمر مليا عند **الحسن** .. إذ بات عنده رجل من قيس يكنى أبا عبد الله .. فقال " قام من الليل فصلى فلم يزل يردد هذه الآية حتى السحر " وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها " .. فلما أصبح قلنا : يا أبا سعيد لم تكد تجاوز هذه الآية سائر الليل !!

فقال : أرى فيها معتبرا ما أرفع طرفا ولا إرادة إلا وقع على نعمة وما لا يُعلم من نعم الله أكثر " (التذكار فى أفضال الأذكار للقرطبى /١٢٥) ..

٧- انظر موضع سجودك

عن **عائشة** قالت " كان رسول الله إذا صلى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض " صحيح .. كى لا تلتفت لمن عن يمينك أو يجرى بصرك على من فى يسارك أو تجوب عينك فى نقش الجدران أو تتلمح زينة المحراب أو زخرفة قبلة.. لذا فارمى ببصرك نحو الأرض .. إلى سجودك كى يكن الخشوع أضمن والتدبر أوسع والسهو إلى زوال ونرسل لخنزب أن : ابحث لنفسك عن مكان .. فليس لدى متسع لك .. أو حسنة ابذرها .. أو نفحة أضيعها .

٨ – اثأر من عدوك ..

شيطان الصلاة (خنزب) يثأر منك كل صلاة ويجعلك تسهو وتصول وتجول وتخرج من صلاتك بلا راحة للنفس بلا طمأنينة للقلب بلا سكينة للروح أما فكرت أن تثأر منه ؟!... وتتل قول سهل التسترى "من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان " ..

أعد النظر مرة أخرى..

لذا حين سئل **عمار بن ياسر** وكان قد صلى صلاة خفيفة : خففت يا أبا اليقظان ؟ فقال : هل رأيتمونى نقصت من حدودها شيئا ؟ قالوا : لا .. قال : لأنى بادرت سهو الشيطان "..

وكيف لا يبادرك خنزب هذا وأنت ذاهب إلى رحاب ربك وستحل ضيفا عليه وحق على المزور أن يكرم زائره ..والعجب أن لا يأتيك إلا أثناء الصلاة .. فهذه فترة عمله ووردية شغله .. حين يشخص قلبك إلى ربه وتوجه الرقاب إلى قبلته يلهث دأبا فى إخراجك مما أنت فيه .. وينقل بعيدا عن المحراب .. لان هذا هو دوره وتلك هى وظيفته .. وكيف يرتاح باله او يخمد فؤاده وأنت الآن تطبق النظري ومترقبا النتائج " قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون " ..

أتراه يتركك تربح ؟ أو يسنح لك بالفرصة لتغنم ؟

لهذا فالمجد الصادق هو من يعقل تماما أن النبى (ص) قال " **أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وان فسدت فسد سائر عمله** " (صحيح : رواه الضياء عن أنس انظر الحديث رقم ٢٥٧٣ صحيح الجامع)

.. واسمع أكثر ما أدركه هو " **مفتاح الجنة الصلاة** " (رواه أحمد عن جابر بن عبد الله انظر الحديث رقم ٥٢٦٥ ضعيف الجامع)

يا هذا لو خرج قلبك بالمفتاح لكتب لك الفلاح وتدحرج لك النجاح .. وحلقت طربا " تصدق علينا " فلن تسمع إلا خطاب العزيز يوم العفو " لا تثريب عليكم اليوم " ..

فهل ستثأر منه ؟ وانظر كم أضاع منك صلاة ؟
وكم حرمك حلاوة آية ؟ وكم أخذك عن لذيذ العبادة ؟

٩- اجتهد فى الدعاء
قال **ابن مسعود** " من كان فى الصلاة فهو يقرع باب الملك ومن يقرع باب الملك يوشك أن يفتح له " (الصلاة لماذا ؟ /٣٠) .. إنها سجدات الصلوات ولن أبالغ حين اختص هذا المنحى وأخبرك أن السجدات التى نرمقها فى صلاتنا ما هى إلا كنوزا ثمينة ففيها أحلى الدعوات .. وأجل الاقتراب .. وأثمن الهمسات .. وألذ الأوقات .. حين يتمــرغ الجبين .. وينحنى الجسد .. وتذل الناصية .. فتتساوى الرأس مع أخمص القدم .. وتبدأ الألحان الربانية " ســبحان ربى الأعلى " .. فمن يستثقل هذه اللحظات أقول له : يا ساجدا بين يدى ربه .. قل لى متـــى تنيـــب ؟ ألا تتــزود بالدعاء لتنج من شر يوم عصيب ؟

أما من يرتشف تلك الجرعات .. فالمناجاة له تطيب .. والدعوات تزيد .. فإن كنت تدعى حبه وتؤثر قربه فاحترز من ذئب الكسل .. ومن لص الفتور .. أو يسرع بك الشيطان على عجلة الخسران فيصيبك زكام الكسل .. واكتــب لنفسك اسما فى مقدمة الرعيل مع السابقين .. لان الكسل سيجرك إلى الساقة .. وتظل طيلة عمرك تشتكى الفاقة ..

أخى .. أختاه ..

انصب لكل سجدة دعاء مخصص لها .. ولا تعتاد على دعاءا محفوظا.. أو تستند على تستند على شكوى مكررة .. فهناك أناسا منذ السنين لم يتغير دعائه إلا لطارىء .. أما من ظلت رياح الشتات تلطمه وحرم نفسه خيرات ربه .. وأقفر من الحلاوة قلبه .. وفتحت النفس بابها لعناكب الغفلة فنسجت فى وزاياه من لعاب الآمال طاقات المنى .. وظل مشتتا والهم حاله والثقل يعلوه .. فجدد روحك فى سجودك ودعواتك .. لأن للجنة اشتياق .. وللنار قلق .. وللسؤال طلب .. وأشد الناس نهلا من ذاقها .. وارتشف من آثارها ..

خطوات بعدية

١- ختام الصلاة ..
بعد خشوعك فى الصلاة أشبع قلبك بختامها لتنل الفائدة على أكمل وجه لبشراه " **من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت** " (صحيح : رواه ابن حبان ع ابى امامة انظر الحديث رقم ٦٤٦٤ صحيح الجامع)
٢ – هل ستفز بالهدية الربانية
قال (ص) " **قال الله عز وجل : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدنى عبدى .. فإذا قال : الرحمن الرحيم .. قال الله : أثنى على عبدى .. فــإذا قــال : مالك يوم الدين .. قال الله: مجدنى عبدى .. فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين .. قال الله : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل .. فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم .. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضــوب علــيهم ولا الضالين.. قال الله : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل** " (صحيح : رواه مسلم وأحمد عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٤٣٢٦صحيح الجامع)

** نماذج مشرفة تطلب التقليد:

* قالت **عائشة** " كان رسول الله يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولـم نعرفـه " وفهـم أميـر المؤمنين علىَ ذلك فإذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جـاء وقت أمانه عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها !!.. هكذا كـانوا أخوتاه .. فمتى نفهم ؟!

* قيل **لخلف بن أيوب** : ألا يؤذيك الذباب فى صلاتك فتطردها ؟! قال : لا أعود نفسى شيئا يفسد على صلاتى .. قيل له : وكيف تصبر على ذلك ؟! قال : بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال : فـلان صـبور ويفتخرون بذلك فـأنا قائم بين يدى ربى أفأتحرك لذبابة !! (الاحياء /١/٢٦٢)

* وهو **عبد الله بن الزبير** إذا صلى كأنه عود وتحط الطيور على ظهره وتحسبه جذع حائط وذات يوم ألقى عليه حجر فذهب ببعض ثوبه فما أخرجه ذلك من صلاته.!!. لا اله الا الله .. إنها حقاً الصلاة فـأين نحـن منهـا ؟! (المدهش)

* قيل **لعامر بن عبد الله** : هل تحدثك نفسك فى الصلاة بشىء ؟ قال : " نعم .. بوقوفى بين يدى الله عـز وجـل ومنصرفى إلى إحدى الدارين "

* كان **ذى النون المصرى** إذا قام إلى الصلاة يقول الهى بأى رجل أمشى إليك أم بأى عين انظر إليـك أم بـأى لسان أناجيك أم بأى يد ادعوك ؟ ولكن الثقة بكرمك حملتنى على الجراءة وان العبد إذا ضاقت عليه حيلته قل حياؤه " (طهارة القلوب /٣٣٢) .. هكذا كانت صلاتهم .. ولا داعى للسؤال !!

** عودة الروح

من وحى الصلاة

يقول **مصطفى صادق الرافعى** " بالانصراف إلى الصلاة وجمع النية عليها يستشعر المسلم أنه قد حطم الحدود الأرضية المحيطة بنفسه من الزمان والمكان وخرج منها إلى روحانية لا يحد فيها إلا بالله وحده .. وبالقيام فى الصلاة يحقق المسلم لذاته معنى إفراغ الفكر السامى على الجسم كله ليمتزج بجلال الكون ووقاره كأنه كائن منتصب مع الكائنات يسبح بحمده .. هى لحظات من الحياة كل يوم فى غير أشياء هذه الدنيا لجمع الشهوات وتقييدها بين وقت وآخر بسلاسلها وأغلالها من حركات الصلاة ولتمزيق الفناء خمس مرات كل يوم عن النفس فيرى المسلم من ورائه حقيقة الخلود فتشعر الروح أنها تنمو وتسمو " (وحى القلم /١١/٢)

هزات إيقاظ

يا أخانا : صلاتك هي عنوانك يوم القيامة .. يا من تسهو عن صلاتك إن لم تصلى فى سكينة واطمئنان فمتى يحين ذلك ؟! ؛ لا تنس " **كم من قائم ليس من قيامه إلا النصب والتعب** " ابن ماجه .. وأبان (ص) " **إن العبد ليصلى الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها ؛ تسعها ؛ ثمنها ؛ سبعها ؛ سدسها ؛ خمسها ؛ ربعها ؛ ثلثها ؛ نصفها** " (أحمد ٣٢١/٤وانظر صحيح الجامع /١٦٢٦) .. ويلخص **عمار بن ياسر** " لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه " (الزهد لابن المبارك /٥٥٩/٢) وذات مرة رأى بعض السلف رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال " لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه "(الذل والانكسار لابن رجب /٣٣)

ويشرح **الإمام الغزالى** " وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور (القلب) عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح فى أجزاء الصلاة كم من حى لا حراك به قريب من ميت ؟! فصلاة الغافل فى جميعها إلا عند التكبير كمثل حى لا حراك به نسأل الله حسن العون " (الإحياء /١٦١/١) ..

علامة القبول

عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) " قال الله عز وجل : **إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصرا على معصيتى وقطع النهار فى ذكرى ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتى وأستحفظه ملائكتى أجعل له فى الظلمة نورا وفى الجهالة حلما ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة** " رواه البزار ..

** وقبل السلام

نداء لأولى الألباب

يا غائب القلب فى صلاته يا شتيت الهم فى جهاته

يا مشغولا بآفاته يا من يحضر بدنه فى الصلاة فأما القلب فقد أهمله فسبحان من قوم قلوب وأصلحها ..

فيا أرباب الغفلة اذكروا .. يا أهل الإعراض احضروا .. يا غافلين عن المنعم اشكروا .. يا رفقاء السهو والتيه اخشعوا ..فأسفا لمن إذا ربح العاملون خسروا .. وإذا أطلق المقيدون فى اسروا .. وإذا اكتنفهم الخشوع ما صبروا .. وحذرك **الحسن**

" **إياك أن ينظر الله إليك وأنت تنظر لغيره** "

سعيا من الآن ..

إخواني .. طوبى لقلوب فى الخدمة حضرت .. وأسرار بالصدق عمرت .. وكم من شهوة فى صدورهم كسرت .. أخبارهم تحى القلوب إذا نشرت .. يقال لهؤلاء القوم وأمثالهم ..

سعيكم مشكور وعملكم مقبول وذنبكم مغفور
ويقلدوا وسام التقدير
" قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون "

ميزان الصلاة ..

وصية على طبق من ذهب بعثها **أبو طالب المكى** " اعلم أن طول الصلاة عليك غفلة وقصرها سهو لأنها إذا طالت عليك دل على عدم الحلاوة ووجود الثقل بها وكبرها على جوارحك .. وإذا قصرت عليك وخفت دل على نقصان حدودها ودخول الغفلة والسهو فيها " ..

همسة :

أوحى الله إلى **شعيب** " يا **شعيب** هيأ لى من رقبتك الخضوع ومن قلبك الخشوع ومن عينك الدموع وادعنى فإنى قريب "..

العلامة الخامسة ..

عين بكت .. فأعتقت

ضربة البداية

** إنها الدموع الغالية

إلا عين بكت

يقول (ص) " **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .. (منهم) رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه** " (متفق عليه عهن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٣٦٠٣ صحيح الجامع)

.. وقال (ص) " **عينان لا تصيبهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله** "(صحيح : رواه الترمذى عن ابن عباس انظر الحديث رقم ٤١١٢ صحيح الجامع)

إنها الدموع الغالية التي تطفأ نيران المعاصي .. التي تأتي على القلب فتحيله إلى فحم أسود .. هذه الدموع التي تنفجر من العيون فيستقي منها القلب ولذا قال الحسن " ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا حرم الله جسدها على النار فإن فاضت على خدها لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة وليس من عمل إلا له وزن وثواب إلا الدمعة من خشية الله فإنها تطفئ ما شاء الله من حر النار ولو أن رجلاً بكى من خشية الله في أمة لرجوت أن يرحم بكائه تلك الأمة بأسرها " (المواعظ والمجالس /٢٤) وكل هذا مصداقة قوله (ص) " **لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع** " (صحيح : رواه أحمد والترمذى والنسائى والحاكم عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٧٧٧٨ صحيح الجامع) ..

جاءته دموعه :

خرج النبي (ص) على أصحابه فقال " **إني رأيت البارحة عجبًا .. رأيت من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى بها في الدنيا من خشية الله فأخرجته من النار** " (رواه الترمذى والطبرانى انظر الحديث رقم ٢٠٨٦ ضعيف الجامع)

وكانت هناك عابدة من أحسن النساء عينا فأخذت فى البكاء من خشية الله فقيل لها : تذهب عيناك .. فقالت : إن يكن لى عند الله خير فسيبدلنى خيرا منها .. وان تكن الأخرى فوالله ما أحزن عليها (المواعظ والمجالس /٢٠٣)

يا هذه .. ويا هذا ..من سعى إلى جنات العزم بأقدام المسكنة ووقف بباب الكرم على أخمص المسألة ووصف ندمه على الذنب بعبارة الذل لم يعد بالخيبة .. لما امتلأت أسماع المتيقظين بصوت " فأخرجته من النار " قاموا على أقدام الانكسار يبكون على زمان ضاع من غير الوصال ..

ولذا صحت معادلة **ابن الجوزي** " **قطرة من الدمع على الخد أنفع من ألف قطرة على الأرض** " ..

فكيف الحال إذا بلغت القلوب الحناجر وقطعت الحسرات الأكباد ..

فكم خذلنا التفريط من الباطلين ؟ وكم أعمت الآمال بصائر الآملين ؟

أما لكم عيون من الم الفراق تدمع ؟

أما لكم قلوب من وحشة الانقطاع تخشع ؟ أما لكم أسماع تصغى إلى المواعظ فتسمع ؟

** دمعة ثم فرحة

مكافأة ربانية

روى أن الله قال " وعزتى وجلالى لا يبكى عبد من خشيتى إلا أبدلته ضحكا فى نور قدسى قل للبكائين من خشتيى : أبشروا فإنكم أول من تنزل عليه الرحمة قل للمذنبين من عبادى يجالسوا البكائين من خشيتى لعلى أصيبهم برحمتى إذا رحمت البكائين "..

تلك الفئة نظرت فى العواقب .. فإن اللبيب لها مراقب ..

غدا رأى العين

فقولوا لى بالله عليكم : أين تعب من صام الهواجر ؟ وأين لذة العاصى الفاجر ؟ رحلت اللذة إلى الصحائف .. وذهب نصيب البكائين ونالوا الرضا فأبدلوا ضحكا .. ونالوا البشرى ..

لأنهم تذكروا " **يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء** "

فعجلوا للموقف وعالجوا التالف من حياتهم لأنهم أيقنوا يوم تخلو الديار .. ويوم يطوى الليل والنهار .. وتهلك الإنس والجن والأشجار .. وتنضب البحار والأنهار .. وبست الجبال فصارت كالغبار .. ونادى المالك العظيم " لمن الملك اليوم.. لمن الملك اليوم .. لمن الملك اليوم ..

فيرد لسان الانكسار : **لله الواحد القهار**

فيا معشر العاصين .. قد بقى القليل والأيام تنادى .. قد دنا الرحيل وقد صاح بكم الى الهدى الدليل ..

وقاس على ذلك الأمر **عبد الله بن عمر** فقال " لأن ادمع من خشية الله تعالى أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار"..

وتخرج من مدرسة البكاء **محمد بن المنكدر** فكان إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه فقيل له فى ذلك فقال : بلغنى أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع فابك فى خلواتك على جفواتك ابك فى لياليك على غيك وتماديك "..

.. دعوة محمدية (ص)

والعجيب أن يدعوا النبى (ص) " **اللهم ارزقنى عينين هطالتين تشقيان القلب بذروف الدموع من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس جمرا** "(رواه ابن عساكر عن ابن عمرو انظر الحديث رقم ١١٧٣ ضعيف الجامع)

وفى شرح الحديث " (اللّهم ارزقني عينين هطالتين) أي بكايتين ذرافتين بالدموع وقد هطل المطر يهطل إذا تتابع (يشفيان) أي يداويان (اللّهم ارزقني بذروف الدموع) أي يسيلان الدموع وفي الصحاح ذرف الدمع إذا سال وذرفت عينه سال دمعها ..

وقرأة **الزمخشري** فشرحه بأسلوبه الرقيق : سالت مذارف عينه أي مدامعها وسمعت من يقول رأيت دمعه يتذارف انتهى (من خشيتك) من شدة خوفك (قبل أن تكون الدموع دماً) من هول الموقف وما بعده (والأضراس) جمع ضرس وهو السن وهو مذكر ما دام له هذا الاسم لأن الأسنان كلها إناث الأضراس فإن قيل فيه سن فهو مؤنث (جمراً) من شدة العذاب يوم المآب وهذا إنما يكون محض تعليم للأمة وأما هو فأعظم الآمنين الفرحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ".

<u> اعترافات نبى !!</u>**

كان **داود** عليه السلام يسجد ويناجى ربه فى سجوده :

إلهي : يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة لى لا تذهب عنى ..

إلهي: تبكى الثكلى على ولدها إذا فقدته وداود يبكى على خطيئته ..

إلهي : الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء قيل هذا داود الخاطىء ..

إلهي : بأى عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفى

إلهي: بأى قدم أقوم ببابك يوم تزل أقدام الخاطئين

إلهي : من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده

إلهي: أنا الذى لا أطيق صوت الرعد فكيف أطيق صوت جهنم

إلهي: كيف يستقر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت شاهدهم حيث كانوا

إلهي : أنت المغيث وأنا المستغيث فمن يدعو المستغيث إلا المغيث ؟

إلهي : فررت إليك بذنوبى فاعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم الدين ..

إلهي: إذا ذكرت ذنوبى آيست من كل خير وإذا كرت رحمتك رجوتها

إلهي: امدد عينى بالدموع وقلبى بالخشية وضعفى بالقوة حتى أبلغ رضاك عنى ..(التبصرة /٢٣٥)

<u>** بكاء العابدين</u>

* كان **فتح الموصلى** يبكى الدموع فلما مات رؤى فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه وقال لى : **يا فتح** البكاء لماذا ؟ قلت : يا رب على تخلفى عن واجب حقك .. قال : فلم بكيت الدم : قلت : يارب خوفا على دموعى الا تصح لى .. قال : يا فتح ما أردت بهذا كله ؟ قلت : يا سيدى أردت بذلك وجهك الكريم واصنع بى ما شئت .. فقال : وعزتى وجلالى لقد صعد إلى حافظاك منذ أربعين سنة بصحيفتك وليس فيها خطيئة واحدة فلألبسنك لباس التكريم ولأمتعنك بالنظر إلى وجهى الكريم (الروض/١١٤)

* حكى عن **عطاء السلمى** انه كان كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال : لم لا أبكى ووثاق الموت فى عنقى والقبر منزلى والقيامة موقفى والخصوم حولى يقولون لى : يا مراء بيننا وبينك الموقف لفصل القضاء ..

* قال **إبراهيم بن ادهم** : مرض بعض العباد فدخلنا عليه نعوده فجعل يتنفس ويتأسف فقلت له : على ماذا تتأسف فقال : على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله **!!**

* بكى احد العباد عند موته فسئل عن ذلك فقال : أبكى بأن يصوم الصائمون ولست فيهم ويذكر الذاكرون ولست فيهم ويصلى المصلون ولست فيهم !!..

* **محمد بن المنكدر** كان كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال : آية من القرآن " وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون " كيف لا تذهب العيون من البكاء ؟ وما تدرى ما قد أعد لها " (المدهش /٢٦٢)

** <u>همسة عتاب</u>

اخوانى .. أحباب رسول الله :

انظروا إلى هؤلاء السادات كيف يتأسفون على الفوت ويندمون على ترك العمل الصالح بعد الموت فاستدرك ما بقى من عمرك .. أما ترونهم فى قبورهم قد اسروا يتمنون العود إليكم وهيهات فكم وعظ الزمان من الباب وكم انـــذر المشيب من شباب وأباد الموت من أتراب وكم فرق من أحباب ..

أما لك سمع للمواعظ يسمع ؟..

أما لك عين على فراق الأهل تدمع ؟..

أما لك قلب من الخوف يخشع ؟..

أما لك فى الجنة مطمع ؟!!

ولكن أملى عليك تقرير **الفضيل بن عياض** " ليس البكاء بكاء العين إنما البكاء بكاء القلب فإن الرجل قد تبكى عيناه وقلبه قاس لان بكاء المنافق يكون من رأسه لا من قلبه "

كم رأينا من أناس هلكوا — فبكـــى أحبابه ثم بكـــوا
تركوا الدنيا لمن بعـــدهم — ليتهم لـو قدمـــوا ما تركـــوا
قلب الدهر عليهم فلكـــا — فاستداروا حيث دار الفلك

مدوا أيدى الذل والافتقار ونادوا برفيع الأصوات بالسر والاجهار .. عبيدك أهل المعاصى والإصرار أتوك يرجون عفوك عن الذنوب والأوزار .. إلهنا شفيعنا إليك الذل والانكسار .. إلهنا إن كانت ذنوبنا قد أخافتنا من عقابك فـــإن حسن الظن قد أطعمنا فى ثوابك .. وأوجز كل ما قيل **كعب الأحبار** " لأن أبكى من خشية الله حتى تخرج من عينى قطرة واحدة أحب إلى من أن أتصدق بجبل من ذهب "

** <u>خبران مرعبان</u>

* إنصات اجبارى ..

وقال (ص) إن الله يوم يقوم الأشهاد يقول " يا معشر الجن والإنس انى قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يـــومكم هـــذا اسمع قولكم وانظر أعمالكم فأنصتوا فإنما هى أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجـــد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق مظلم ثم يقول الله عز وجل " وامتازوا اليوم أيهـــا المجرمون الم اعهد إليكم يا بنى ادم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين "

إلى قوله تعالى " هذه جهنم التى كنتم توعدون " فيميز الله الناس وتجثو الأمم فيقضى بين خلقه إلا الثقلـــين الجـــن والأنس فيقضى الله بين الوحش والبهائم حتى انه ليقيد الجماء من ذات القرن فإذا لم تبق تبعة عند واحدة لأخـــرى يقال لها : كونى ترابا فعند ذلك يقول الكافر" يا ليتنى كنت ترابا " صحيح ..

آه على جوارح قابلت — بفعلها القبيح الفعل الجميل
آه على أكباد لم تنقطع — خيفـــة من الملك الجليل
آه على قلوب لم تتفكر — فى يـوم المـوت والرحيـــل
آه على جنـــة عـــــدن — وظـلهـــا الظـــليـــــل

شىء عظيم !!

قال **أبو هريرة** : يا رسول الله فمن استثنى الله تعالى حين قال " ففزع من فى السماوات والأرض إلا من شاء الله " قال (ص) : أولئك الشهداء وقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم منه وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه فيقول الله عز وجل " إن زلزلة الساعة شىء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد " .. فيمكثون فى ذلك البلاء ما شاء الله إلا أنه يطول عليهم ثم يأمر الله عز وجل إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله فإذا اجتمعوا جاء ملك الموت إلى الجبار فيقول قد مات أهل السماوات والأرض إلا من شئت فيقول الله عز وجل- وهو اعلم- من بقى ؟ فيقول : أى رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقى جبريل وميكائيل فيقول : إنى كتبت الموت على من تحت عرشى فيموتان ثم يأتى ملك الموت فيقول قد مات جبريل وميكائيل فيقول وهو اعلم : من بقى ؟ فيقول : بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة العرش وبقيت أنا فيقول الله عز وجل : فليمت حملة العرش فيموتون ويأمر الله تعالى العرش فيقبض القرن من اسرافيل ثم يقول : ليمت اسرافيل فيموت ثم يأتى ملك الموت فيقول : يا رب قد مات حملة عرشك فيقول الله عز وجل وهو اعلم فمن بقى .. فيقول : بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا فيقول الله عز وجل : أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمن فيموت ..فإذا لم يبق إلا الله عز وجل طوى السماء والأرض كطى السجل للكتب ثم دحاها ثم قال : أنا الجبار .. لمن الملك اليوم – ثلاث مرات – فلا يجيبه أحد فيجب بنفسه فيقول لنفسه : لله الواحد القهار .." صحيح ..

اذكر وقوفك يوم الحشر عريانا	مستضعفا فارغ الأحشاء حيرانا
النار تزفر من غيظ ومن حنق	على العصاة وتلقى الرب غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل	وانظر إليه ترى فيه الذى كانا
لما قرأت كتابا لا يغادر لى	ما كان فى السر أو ما كان إعلانا
قال الجليل خذوا يا ملائكتى	مروا به لأليم النار ظمأنا
يا رب لا تحرمنا يوم المعاد ولا	تجعل لنارك فين اليوم سلطانا

** وقبل السلام

اكتشف مسلك الوصول

يا أحباب : مثلوا أنفسكم وقد وقفتم على النار وقلتم يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا .. كلما صحتم يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وقد صرفتم همتكم فى طلب الدنيا وأعرضتم عن أخراكم .. وأبو الدرداء بلغ الأمر عنده الأشد فاحترق قلبه وهو يقول " إن أشد ما أخاف على نفسى يوم القيامة أن يقال لى : يا أبا الدرداء قد علمت فكيف عملت فيما علمت ؟ وكان يقول : لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا على شهوة ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه ولخرجتم إلى الصعيد تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم ولودت أنى شجرة تعضد ثم تؤكل "

برقية عزاء .. فيها الشفاء

إلى من لا تزال أعينهم جامدة وقلوبهم قاسية لا تلين .. دعنى أهزك هزا ..

أتظن أنك فوق مستوى الأتقياء ؟ أتشهد لنفسك بالفضائل وتبرأها من الرذائل ؟ أتسوق محامدك للناس وتذكر حسناتك وتستعرض نفسك على ربك ؟ ألا تعلم أن الله هو الأعلم .. ولا تخفى عليه خافية ..

ادلف دوامة البكائين وان لم تستطع البكاء فتباكى ولم لا ؟! اعصر قلبك حرقة .. أجهد عينك من أجل دمعة .. خذ بيد نفسك إلى ربها وسقها إليه كرها أن لم ترضى طوعا .. فلا تقدم للاعتذار عريضة لأن هذا حال الفئة المريضة .. فأنت الضعيف الهزيل والمخلوق الفقير .. والعبد المسكين .. اهضم نفسك فلولا ستر الله لظهرت الفضائح .. ولولا لطف الله لبدت القبائح ..

أخى .. أختاه ..

دع أعمالا تتحدث عنك لا أقوالك .. وإحسانك لا كلامك ..

حقيق على مثل هذا العبد أن يسكت .. وأن يطرح نفسه على عتبة ربه .. أما من له قلب ميت بـــالقبيح .. وقتلـــه عجبه الظاهر .. وفرح بذنبه الخفى .. أناشده .. وأناديه : تب لمولاك الآن .. نعم الآن .. الآن .. وردد هذا الدعاء وحلق فى كل كلمة تقولها " **اللهم أنت ربى لا اله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت لا يقولهـــا احد حين يمسى فيأتى عليه قدر قبل ان يصبح الا وجبت له الجنة ولا يقولها حين يصبح فيأتى عليه قدر قبل ان يمسى الا وجبت له الجنة** " (صحيح : رواه الترمذى عن شداد بن أوس انظر الحديث رقم ٢٦١٢ صحيح الجامع)

كررها ثلاثاً..

أغمض عينك واستحضر قلبك .. وان كنت تملك النية الجازمة والعزيمة الماضية ..

أقول لك : ما أحلى أن تتوضأ الآن ثم تصوب الأكف وتردد سيد الاستغفار ثلاثا كما أوصينا ..

وصدقنى أخى .. وصدقينى أختاه ..

ستروا الفارق واقعاً لا خيالاً .. حقيقةً لا زيفاً .. وكأنك بعثت من جديد ..

فهل من مقبل ؟ وهل من شاك ؟ وهل من مستغفر ؟ وهل من باك ؟

أسمعوني الجواب (...............)

هكذا كـــانوا .. فهل أنت ستكون ؟! ..

هكذا سبقوا .. فهل ستسبق أنت من بعدك ؟!

هكذا أذلوا أنفسهم لله .. فهل ستقلد صنيعهم ؟!

هكذا أعـزهم اللـه .. فهل ستطلع لمنزلتهم ؟! ..

<u>همسة</u>

قال بعض السلف : مررت برجل منفرد "؛ فقلت له : أنت وحدك ؟

فقال : مع ربى وملكاى .. فقلت : أين الطرق ؟

فأشار نحو السماء ثم مضى وهو يقول : أكثر خلقك شاغل عنك ..

الجولة الرابعة :

كمائن منصوبة ومخالب مؤذية

ضربة البداية

** ضريبة الهلاك

إن الكبر والعجب الذي يغلف القلب ما هو إلا فتور همة وضعف إيمان وشلل فكر وعمى قلب .. إذ كيف تتكبر أو تعجب بعملك وقد من الله عليك به .. ولما تتكبر على خلق الله أنسيت خالقك .. وأين معاملتك مع الله .. واستلم إغاثة ابن القيم " من أنفع ما للقلب : النظر فى حق الله على العبد فإن ذلك يورثه مقت نفسه والازدراء عليها ويخلصه من العجب ورؤية العمل ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدى ربه واليأس من نفسه وان النجاة لا تحصل إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته " (إغاثة اللهفان /١/١٤٣)

وقال **سعد بن أبي وقاص** لابنه " يا بني: إياك والكبر وليكن فيما تستعين به على تركه : علمك بالذي منه كنت والذي إليه تصير وكيف الكبر مع النطفة التي منها خلقت والرحم التي منها قُذفت والغذاء الذي به غُذيت " (العقد الفريد/١).

ولعل هذه الأسئلة تستوقف سيرك ..والإجابة .. لعلك أدركتها .. ولكي لا تتعرقل أكثر من ذلك ..

** احذر هذه العوائق .. قبل شق الجيوب

١- سلب القبول

يقول **الماوردى** " إن الكبر والإعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح ولا قبول لتأديب لان الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة .. فالمتكبر يحل نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين " (أدب الدنيا والدين /٦٩) ..

وقال **مجاهد** " وقدمنا إلى ما عملوا من عمل " فقال " عمدنا إلى ما عملوا من عمل فما عملوا من خير لم يقبل منهم " (الزهد لابن المبارك/٢/٦١٥) .. وقال **الحسن** وهو يرسم حال المؤمنين " لقد أدركت أقواما إذا عملوا الحسنة دأبوا على شكرها وسألوا الله أن يقبلها وإذا عملوا سيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها فما زالوا على ذلك فوالله ما سلموا من الذنوب وما نجوا إلا بالمغفرة "

٢- إلغاء من كشوفات الجنة

يقول النبي (ص) " **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** "(صحيح : رواه مسلم عن ابن مسعود انظر الحديث رقم ٧٦٧٤ صحيح الجامع)

.. ولكي تأط رأسك أكثر فاسمع قول الحق تبارك وتعالى " **الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نازعني واحدًا منهم ألقيته في جهنم ولا أبالي** " (صحيح : رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وابو داود عن ابى هريرةانظر الحديث رقم ٤٣١١ صحيح الجامع)

.. ولهذا حذر **النعمان بن بشير** " إن للشيطان مصائد وفخوخًا وإن من مصائد الشيطان وفخوخه البطر بـأنعم الله والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد الله وإتباع الهوى من غير ذات الله " .. ومن هذا المنطلق أهديك دعاء النبـي (ص) " **نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا** "

.. وقال أيضا و " **اللهم الهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى** " (رواه الترمذى والنسائى عن عمران بن حصـين انظر الحديث رقم ٤٠٩٨ ضعيف الجامع)

٣- حرمان الرحمة والشفاعة :

قال (ص) " **تخاطبت الجنة النار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة : مـالي لا يـدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزتهم فقال الله للجنة : إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنـار : إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة ملؤها** "(صحيح : رواه أحمد والبيهقى عـن ابـى هريرةانظـر الحديث رقم ٢٩١٩ صحيح الجامع)

.. وإياك وهذه يقول (ص) " **يكون قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون : قد قرأنا القرآن فمن أقـرأ منا .. ومن أعلم منا ثم التفت إلى أصحابه وقال : أولئك منكم أيها الأمة ، أولئك هم وقود النار** " صحيح .. وقال أيضا " **لا ألفين (لأجدن) يجيء أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول : يا رسول الله أغثنى .. فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ؛ لا ألفين (لأجدن) يجيء أحدكم يوم القيامة على رقبته شاه لها ثغاء فيقول : يا رسول الله أغثنى .. فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ؛ لا ألفين (لأجدن) يجيء أحدكم يوم القيامة علـى رقبته نفس لها صياح فيقول : يا رسول الله أغثنى .. فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ؛ لا ألفين (لأجـدن) يجيء أحدكم يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول : يا رسول الله أغثنى .. فأقول : لا أملك لك شـيئا قـد أبلغتك ؛لا ألفين (لأجدن) يجيء أحدكم يوم القيامة على رقبته صامت فيقول : يا رسول الله أغثنى .. فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك بعير له رغاء يقول : يا رسول الله أغثنى .. فأقول : لا أملك لك شـيئا قـد أبلغتـك** " (صحيح : رواه أحمد والبيهقى عن ابى هريرة انظر الحديث رقم ٧١٧٣ صحيح الجامع)

.. ولعل **ابن القيم** اطلع أسبابك فقال " الجنة خطوتان أن تسقط نفسك فيما بينك وبين الناس وان تسقط الناس فيمـا بينك وبين الله "

٤- ذل يوم القيامة

" يقول (ص) " **يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذر (صغار النخل) تطأهم الناس ذرًا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنبار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار** " حسن ..

وفى رواية " **يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن فى جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبـال** " (حسن : رواه أحمد الترمذى عن ابن عمرو انظر الحديث رقم ٨٠٤٠ صحيح الجامع)

وخاف على نفسه **عثمان بن عفان** من تسلل هذا اللص الخفى فصاح " لو أنني بين الجنة والنـــار ولا أدرى إلـــى أيتهما يؤمر بى لاخترت أن أكون رمادا قبل أن اعلم إلى أيتهما أصير !! "

وكان **الإمام الدبوسى** ينصح بهذا الدعاء قائلا " قل وردد : بالله استعين وبه أعوذ وإياه ألوذ تبارك مـــن مقـــدر لا يتحرك العبد ولا يسكن ولا يتكلم ولا يسكت إلا بنعمة من الله جديدة مضمومة إلى منه قديمة فلله الحمـــد ســـرمدا والشكر متواليا أبدا " (الأمد الأقصى/١٥٦)

٥- حجاب يعرقل الرضا

استفهام يخجل

يقول الشيخ **الجيلانى** " يا أنت : تمن على الله عز وجل مع سهوك وريائك ونفاقك وتطلب كرامته لك وتزاحم الصالحين مع فسادك مالك والذكر لهم والدعوى لمعرفتهم .. يا شارد .. يا خارجا عن دائرة المخلصين الموحدين من هذه الأمة .. ابك حتى يبكى معك اقعد فى مصيبك والبس ثياب العزاء حتى يقعد أنت محجوب وما عنـــدك خبـــر .. قـــال بعـــض الصالحين " ويل للمحجوبين الذين لا يعلمون أنهم محجوبون ".. أى شىء قلبك ؟! أى شىء تعقل ؟ إلى من تشكو ؟ إذا وقعت فى شدة بمن تثق ؟..

تفكرت في حشري ويـوم قيـامتي ... وإصباح خدي في المقـــابر ثأويا

فريدًا وحيدًا بعد عز ورفعــــــة ... رهينًـا بجرمي والتراب سأويـا

تفكرت في طول الحساب وعرضه ... وذُل مقـامي حين أعطى كتـابيا

ولن رجائي فيك ربي وخـــــالقي ... بأنك تعفو يا إلهـي خطـــائيا

٦- تهديدات قرآنية

لا تشرب السم

قال تعالى " إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين " ..

قال تعالى " ومن يستنكف عن عبادته فسيحشرهم إليه جميعا * فأما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا "

قال تعالى " سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك أنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين "..

ردود سريعة

قال تعالى " تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم "

قال تعالى " فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون "

نداء ورجاء

يا من لا يتعظ بسلف آبائه يا مشغولا بذكر بقائه عن ذكر فنائه

يا مغرورا قد حل الممات بفنائه يا معجبا بثوب صحته يمشى فى خيلائه

يا من يلهو بأمله ويا من اجله ورائه ..

كم رأيت مسلوبا من سروره ونعمائه ؟

كم شاهدت مأخوذا عن أحبابه وأبنائه بينا هو فى غروره دب الموت فى أعضائه ؟..

بادر قبل أن تغادر ..

كم ينعم عليك فتنسى وتجحد كم تشيع من ميت وترى لحد ملحد ..

يا ليل الانتفاع بالوعظ متى تتزود ؟!

** الدواء الناجع

١- لا ترفع سعرك

لا ينتابك العجب بعملك وصلاتك وصومك ..واعلم أنها من توفيق الله لك إن كنت من أهلها .. فلا تفتخر .. فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم أضحت وزهرها يابس هشيم إذ هبت الريح العقيم .. كذلك العبد يمسي قلبه بطاعة الله مشرق سليم ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم .. وذلك تقدير العزيز العليم ولعل الشافعي يبرز لك المعنى ويوضحه " إذا خفت على عملك العجب ؛ فاذكر رضا من تطلب وفى أى نعيم ترغب ؛ ومن أى عقاب ترهب .. فمن فكر فى ذلك صغر عنده عمله "

ابن آدم .. الأقلام عليك تجري وأنت في غفلة لا تدري ..

كان رسول الله (ص) يدعو قائلاً " **يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك** " (صحيح : رواه ابن ماجه والحاكم عن النواس بن سمعان انظر الحديث رقم ٧٩٨٨ صحيح الجامع)

.. فماذا أنت فاعل ؟!

٢- اعرف قدر نفسك

* عن **جابر** مرفوعا عن جبريل " أن عابدا عبد الله على رأس جبل فى البحر خمسمائة سنة ثم سأل ربه ان يقبضه ساجدا .. قال جبريل : فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا ونجد فى العلم انه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله .. فيقول الرب عز وجل : أدخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول العبد : يارب بعملى يفعل ذلك ثلاث مرات .. ثم يقول الله للملائكة : قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله فيجدون نعمة البصر قد احاطت بعبادته خمسمائة سنة وبقيت نعمة الجسد كله .. فيقول : أدخلوا عبدى النار .. فيجر إلى النار .. فينادى : برحمتك أدخلنى الجنة .. برحمتك أدخلنى الجنة .. فيدخله الجنة .. قال جبريل : إنما الاشياء برحمة الله يا محمد " (أخرجه الحاكم وصححه)..

واشترك رجل فى الحوار فقال **لابن مسعود** " ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين أكون من المقربين أحب إلى فعبر **بن مسعود** عن حاله واشفاقه فقال : لكن هاهنا رجل ود لو انه إذا مات لم يبعث يقصد نفسه " (حياة الصحابة)

فماذا عن حالك يا قليل البضاعة ؟ وماذا لديك يا كثير الانبساط ؟
وأين زادك يا كسلان ؟
يا مسافرا بلا زاد لا راحلة ولا جواد

٣- انهيار السد

قال (ص) " **ما السماوات السبع فى الكرسى إلا كدراهم سبعة ألقيت فى ترس** " رواه ابن جرير وابن أبى شيبة .. وقال (ص) " **ما الكرسى فى العرش إلا كحلقة من حديد القيت بين ظهرى فلاة من الأرض** " رواه ابن جرير وابن أبى شيبة .. ويعرفك قدرك ابن مسعود " بين السماء الدنيا والتى تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام وبين الكرسى والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شىء من عمالكم " (فتح المجيد /٦٢١)..

٤- استفهام يقلق

قرأت هذه الآية " قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به " فلاحت لي فيها إشارة كدت أطيش منها وذلك أنه إن كان عني بالآية نفس السمع والبصر فإن السمع آلة لإدراك المسموعات والبصر آلة لإدراك المبصرات فهما يعرضان ذلك على القلب فيتدبر ويعتبر فإذا عرضت المخلوقات على السمع

والبصر أوصلا إلى القلب أخبارها من أنها تدل على الخالق وتحمل على طاعة الصانع وتحذر مـــن بطشـــه عنـــد مخالفته وإن عنى معنى السمع والبصر فذلك يكون بذهولها عن حقائق ما أدركا شغلا بالهوى فيعاقب الإنسان بسلب معاني تلك الآلات فيرى وكأنه ما رأى ويسمع كأنه ما سمع والقلب ذاهل عما يتأذى به لا يدري ما يراد به لا يؤثر عنده أنه يبلى ولا تنفعه موعظة تجلى ولا يدري أين هو ولا ما المراد منه ولا إلى أين يحمل وإنما يلاحظ بـــالطبع مصالح عاجلته ولا بتفكر في خسران آجلته لا يتعبر برفيقه ولا يتعظ بصديقه ولا يتزود لطريقة ..

وهذه حالة أكثر الناس فنعوذ بالله من سلب فوائد الآلات فإنها أقبح الحالات " (صيد الخاطر /٥٧)

الناس في غفلة و الموت يوقظهم — وما يفيقـــون حتى ينفذ العمر
يشيعـــون أهاليهم بجمعهـــــم — و ينظـــرون ما فيه قد قـــبروا
و يرجعون إلى أحلام غفلتهـــم — كأنهم ما رأوا شيئاً و لا نظروا

٥- تأمل العواقب

مواجهة من حجة الإسلام **أبو حامد الغزالى** " وإنما صار الكبر حجابا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هى أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العلو ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز ولا يقـــدر على ترك الخلق وفيه العز ولا يقدر على أن يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس واغتيابهم وفيه العز فما من خلق ذميم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزه " (إحياء علوم الدين ٣/٣٤٤-٣٤٥)..

٦- اجعل نفسك وراء ظهرك

ولان الكبر مرض عضال ويقول لك صاحب كتاب كن كابن ادم عن الكبر انه " الإدمان المستعصى الذى يمســك بخناق الناس ويسد عليهم منافذ الفهم هو رفعهم لأنفسهم فوق مستواهم البشرى مما يجعلهم يعتقدون أنهم ليسوا مثل الناس وأنهم مخلوقات أخرى وهذا هو مذهب إبليس وهو أن ترى نفسك وعشيرتك وقومك ومذهبك فـــوق النـــاس وأنكم أحباء الله وعياله المفضلون سواء عملتم الصالحات أم لم تعملوها .. وانه لن يدخل الجنة إلا من كان مـــنكم وان الآخرين ليسوا على شيء الكبر هو الذى يجعلك تحتقر الآخرين وتحتفظ لنفسك بالامتيازات وترفض أن يطبق عليك القانون الذى يطبق على البشر " (كن كابن ادم /٢٥)

٧- بم يختم لك ؟

ومن الحلول ما قاله صاحب فتوح الغيب " هى أن رأى العبد أحدا من الناس إلا رأى الفضل عليه ويقول : عسى أن يكون عند الله خيرا منى وارفع درجة .. فإن كان صغيرا قال : هذا لم يعص الله تعالى وأنا قد عصيت وان كـــان كبيرا قال : هذا عبد الله قبلى وان كان عالما قال : هذا أعطى ما لم ابلغ ونال ما لم أنل وعلم ما جهل وهو يعمـــل بعلمه وان كان جاهلا قال : هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم ولا أدرى بم يختم لى وبم يختم لـــه وان كـــان كافرا قال : لا أدرى عسى أن يسلم فيختم له بخير العمل وعسى أن اكفر فيختم لى بسوء العمل " (فتـــوح الغيـــب /١٩٥) .. وحين سئل رجل لبَكر بن عبد الله : علمني التواضع فقال : إذا رأيت من هو أكبر منك فقل : سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح فهو خير مني وإذا رأيت " من هو " أصغر منك فقل: سبقته إلى الذنوب والعمل السيئ فأنا شر منه "..(العقد الفريد/١)..

٨- كفى بنفسك عليك حسيبا

اعلم أن الكبر من لمهلكات ولمعالجته مقامان " الأول : فى استئصال أصله وقطع شجرته وذلك بأن يعرف الإنسان نفسه .. فإذا عرف نفسه حق المعرفة علم انه أذل من كل ذليل ويكفيه أن ينظر فى اصل وجوده بعد العـدم مـن تراب ثم من نطفة خرجت من مخرج البول ثم من علقه ثم .. فقد صار شيئا مذكورا بعد أن كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك فقد ابتدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبفقره قبل غناه .. وأما أخر أمره فالموت الذى يعده جمادا كما كان فيصير جيفة منتنة وتبلى أعضاؤه وتنخر عظامه ويأكل الدود أجزاؤة ثم بعد طول البلـى تجمع أجزاؤه المتفرقة ويحضر عرصة القيامة فيرى أرضا مبدلة وجبالا مسيرة وسماءا منشقة ونجومـا منكـدرة وشمسا مكورة وأحوالا مظلمة وجحيم تزفر وصحائف تنشر ويقال له " اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " فيقول : وما كتابى ؟ فيقال : كان قد وكل بك فى حياتك التى كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها ملكان يحصـيان مـا تنطق به وتعمل وقد نسيت ذلك وأحصاه الله تعالى فهلم إلى الحساب عليه وأعد جوابا له والا فأنت تساق إلى النار والمقام الثانى : من اعتراه الكبر بالجمال فلينظر فى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى ظاهره نظر البهـائم ومـن اعتراه من جهة القوة فليعلم أنه لو آلمه عرق عاد أعجز من كل عاجز ومن تكبر بسبب الغنى فإذا تأمل خلقا مـن اليهود وجدهم أغنى منه فأف لشرف تسبق به اليهود "(مختصر منهاج القاصدين /٢٤٥) ..

٩- لا تمنن تستكثر

لعل أحدنا حين يسمع هذه النماذج التي تستدعي التقليد يذهل ويدهش ويأخذ شهقة صامتة لا يستطع بعدها الكلام .. ولكن ليس هذا لإرخاء الهمم أو إغلاق أبواب القبول في الوجوه بل هي من قبيل الوقوف مع النفس وأين أنت مـن عبودية الله ؟!! .. ألم أقل لكم أن الموضوع بحاجة لمراجعة مع النفوس ومناقشته مع القلوب وطرحه بجدية علـى العقول حتى ندرك من نحن عند الله ؟! .. وأنبهك " كما أن الحسنات يذهبن السيئات فالسيئات تبطل ما قابلها مـن الحسنات فى قوله تعالى " ولا تبطلوا أعمالكم " حث على تكميل الأعمال وحفظها من كل ما يفسدها لـئلا يضـيع العمل سدى " (تيسير الكريم الرحمن للسعدى /١٣).. وسمع ابن سيرين رجلا يقول " فعلت إليك وفعلت فقال له " اسكت فلا خير فى معروف إذا أحصى "

كلمات هادفة

لا تمنوا علي

تأملت قوله عز وجل " يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان " على هذا كل متعبد ومجتهد في علم إنما رأى بنور اليقظة وقوة الفهم والعقل صوابا فوقع على المطلوب فينبغي أن يوجه الشكر إلى من بعث له في ظلام الطبع القبس ومن هذا الفن حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فانحطت عليهم صخرة فسدت باب الغار فقالوا : تعالوا نتوسل بصالح أعمالنا ..

فقال كل منهم : فعلت كذا وكذا وهؤلاء إن كانوا لاحظوا نعمة الواهب للعصمة عن الخطأ فتوسلوا بإنعامه علـيهم الذي أوجب تخصيصهم بتلك النعمة عن أبناء جنسهم فبه توسلوا إليه وإن كانوا لا حظوا أفعالهم فلمحوا جزاءها ظناً منهم أنهم هم الذين فعلوا فهم أهل غيبة لا حضور ويكون جواب مسألتهم لقطع مننهم الدائمة ومثل هذا رؤية المتقي تقواه حتى إنه يرى أنه أفضل من كثير من الخلق وربما احتقر أهل المعاصي وتشمخ عليهم وهذه غفلة عن طريق السلوك " (صيد الخاطر /٦٣)

يا أخى .. أعجب العجائب سرورك بغرورك وسهوك فى لهوك تغتر بصحتك وتنسى دنو السقم وتفـرح بعافيتـك غافلا عن قرب الألم

كأنك لم تسمع بأخبار من مضـــى ولم تر فى الباقين ما يصنع الدهر
فإن كنت لا تدرى فتلك ديارهم محـــاها مجال الريح بعدك والقبر

خوف دائم إلا ..

قال **حاتم الأصم** " لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة تلقى آدم عليه ما لقى ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده لقى ما لقى ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام (من علماء بني إسرائيل) كان يحســـن اســـم الله الأعظم فانظر ماذا لقى حيث كفر ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر من المصطفى (ص) ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعدائه .. وهو ما يبرهنه معاذ بن جبل " إن المؤمن لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته حتى يخلــف جســر جهنم وراءه .. قال **أحمد بن حنبل** : سألت ربي عز وجل أن يفتح علي بابًا من الخوف ففتح ، فخفت على عقلي .. فقلت يا رب أعطني على قدر ما أطيق فسكن ذلك عني ..

أخي ..(الخشبة اليابسة إذا دخل طرفها الواحد في النار عرق طرفها الآخر وكذلك القلب إذا كانت فيا حرقه ندامة الذنوب جاءت العينان بوابل الدموع ، ولانت الجوارح بالخضوع ، والقلب بالإنابة والخشـــوع) (انظـــر بســـتان الواعظين)..

** وقبل السلام

غرور اخطأ مكانه

يا أخانا .. كم من مالك مال يظن أنه جمع ما لم يجمعه غيره إلا قارون .. ومن صاحب قصور وبساتين يظـــن أن بيديه ملك بلقيس .. ومن معجب بمنظره ومختال بمشيته وكأنه هو ويوسف خرجا من مشكاة واحدة .. ومن بصير وكأنه هو وعيسى من أسرة واحدة .. ومن متحدث ومتفوه يقول : ليس مثلى ولو سمع ما حدث بعده من الفصـــاحة عد نفسه اخرس ..

وقس على ذلك ..

وهل أنت الذى ستقض مضاجع فرعون وهامان ؟؟

استدراك مطلوب

فكيف يستقر الكبر فيمن خُلق من تراب وطُوي على القَذَر وجرى مجرى البول وهل أنت الذى ستقض مضاجع فرعون وهامان ؟! .. وقال **أبو الدرداء** " علامة الجاهل ثلاث العُجب وكثرة المنطق وأن ينهى عن شيء ويأتيه ".. لذا " فإذا أراد الله بهذا العبد خيرا ألقاه فى ذنب يكسره به ويعرفه قدره ويكفى به عباده شره ويـــنكس بـــه رأســـه ويستخرج منه داء العجب والكبر والمنة عليه وعلى عباده فيكون هذا الذنب أنفع لهذا من طاعات كثيـــرة ويكـــون بمنزلة شرب الدواء فيستخرج به الداء العضال " (تهذيب مدارج السالكين/١٧٠)

واتجه **ابن مسعود** أن الكبر باب العجب فحذر مرارا " الهلاك فى شيئين : العجب والقنوط وإنما جمع بينهمـــا لان السعادة لا تنال إلا بالطلب والتشمير والقانط لا يطلب والمعجب يظن انه قد ظفر بمراده فـــلا يســـعى "(مختصـــر منهاج القاصدين /٢٥٥)

<u>قل لهم</u>

قل للعاملين لغير الله : يا عظم خسرانكم ..

قل للواقفين بغير باب الله : يا طول هوانكم ..

وقل للآملين لغير فضل الله : يا خيبة آمالكم ..

قل للعاملين لغي وجه الله : يا ضيعة أعمالكم ..

الأسباب كلها منقطعة إلا أسبابه والأبواب مكلها مغلقه إلا أبوابه ..

لذا يضع **ابن الجوزى** النقاط فوق الحروف فوصف اهل المقصود " جعل (الله) رحيق محبته مشـــروبهم وأطـــال على باب خدمته وقوفهم وجعل رضاه وقربه مطلوبهم وغضبه وبعده مخوفهم فهم من خشيته مشفقون ومن هيبتـــه مطرقون أن تواضعوا فلرفعته وان تذللوا فلعزته وان طعموا فى صدقته وان خضعوا فلعظمته إلـــى الله افتقـــارهم وبالله افتخارهم وإلى الله استنادهم هو كنزهم وعزهم وفخرهم وذخرهم ومعبودهم ومقصودهم .. (التذكرة فـــى الوعظ /٨٢)

<u>همسة :</u>

قال **مجـــاهد** " من استطاع أن لا يبيت إلا طاهراً ذاكراً مستغفراً فليفعل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه

أستودعكـم اللــه

وبعد أن تنهدت الأنفاس وقدمت النفحات وخضت الجولات وتنزهت فى الاستراحات ..

أسألك سؤالاً صريحاً واضحاً بيناً ..

ما حال قلبك الآن ؟ هل لهذه الكلمات نقش فى قلبك ؟

هل لهذه الحروف أثر فى لوح روحك ؟ هل لعباراته ذكر فى مسامع أذنك ؟

هل لها بريق فى لب عقلك ؟ هل لها بصمه فى إصلاح نفسك وحياتك وأخلاقك ومعاملاتك ؟

ما الذى تغير فيك بين الأمس واليوم .. والغد ؟

أخى .. أختاه .. أحباب قلبى

إن هذه الصفحات وتلك الأسطر ما المبتغى منها أن تحياها القلوب ساعة قراءتها ثم تولى هاربة .. أو تطرب مع السياق الآذان وبعد حين تدخل غياهب النسيان ..أو يأخذك الكلام وتقعد عن الأفعال .. إنها كلمات واقعية أمام أعيننا ..

وهذا حالنا لهذا اجعله نقطه البداية .. وصافرة التحول ..

إنها عبادات قلبيه تُرَشد ببذل الطاقة واستفراغ الوسع .. فحولها لواقع ملموس وتطبيق عملى فى حياتك .. أن .. انكسر أمام نفسك .. وعش فى رحاب ربك .. وكن عبدا خاشعا ذليلا .. شاكرا حامدا .. ساجدا خاضعا ..

وهذا ما يتطلبه الطريق للوصول وما تكتنفه الراحلة لبلوغ المأمول ..

فيا طالب النجاة دم على قرع الباب .. وزاحم أهل التقى أولى الألباب .. ولا تبرح إن لم يفتح .. فرب نجاح بعد يأس .. ورب غنى بعد إفلاس .. ورب عزة بعد تذلل وانكسار ..

صبرا فما يظفر إلا من صبر   إن الليالى واعدات بالظفر
وربما ينهض جد من عـــثر   ورب عظـــم حينا وانجبر

قم من نومتك ولا تمكث فى غفلتك .. فالسماء لم تقع على الأرض بخطئك والقيامة لم تقم لجريرتك .. والشمس لم تأفل بعد بجنايتك .. لست أول المخطئين .. ولا آخر المقصرين ..

قم وابدأ من جديد .. لا يثبطك شيطان .. ولا يعوقك ما كنت عليه قبل الآن .. تحرر من كبريائك واجعل نفسـك وراء ظهرك .. واندم على عيوبك .. وأمح بدموعك قبيح مكتوبك ..

قف وقوف المنكسرين .. وتبتل تبتل المعتذرين .. وتضرع على باب القلق .. وقل بلسان المحترق " **أنا الفقير إليك** "

لا تصر على التقهقر التدريجى مع ربك .. أو تسنح لطفو الشوائب بقلبك .. فأنت كل يوم فى معركة جديـدة مـع نفسك .. وشيطانك .. وهواك .. وأحوالك .. فلا تترك ركام الأيام والانشغالات يتعاظم عليك فتنسى وجهتك ويتجه مؤشر قلبك إلى الأرض ..

اجعله قاموس جديد وبرمجة حية فى حياتك .. حتى تنال يوم الحساب التصفيق الحاد .. وتتوج بوســام الشــفاعة وتنل صك البراءة وتلبس حلل الكرامة وتهيم طربا وتحيا شوقا وأنت تتسلى وتتأكد بنفسك " **إذا دخل أهــل الجنــة الجنة يقول الله : هل تشتهون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ربنا وما فوق ما أعطيتنا ؟! فيقول : رضوانى أكبــر** " (صحيح : رواه الحاكم عن جابر بن عبد الله انظر الحديث رقم ٥٢٤ صحيح الجامع)

لهذا ..

حقق بداخلك " أنا الفقير إليك " لذ بها .. اهتف لها .. ابذل من أجلها .. دون اسمك وانقش رسمك فى قـــائمتهم .. وإن فعلت ..

فطابت لك الحياة وهنيئا لك النجاة .. مع ركب قوم صنعتهم العبادة على يديها وشكلهم ربهم برعايته : فأخلصوا النيات وصلحت منهم الأعمال .. ومات فيهم الهوى وساروا على الجادة وسفحوا دموع الخشية..الاستغفار يحلق بحناجرهم .. لا يرفعون جباههم الساجدة إلا وتاج العزة على هامتهم .. عبدوا الله فذلت لهم جبـــابرة العـــالم وسعوا للآخرة فهرولت الدنيا خلفهم لاهثة تريدهم .. واتصلوا بالسماء فاشرأبت لهم الأرض احتفاءًا بهم ..

فجزاهم الله خير الجزاء
وأكرمهم فى العطاء
وأسكنهم دار السلام
وأحلهم أحسن المقام
بجوار ذى الجلال والإكرام

هنيئا لهذه الوجوه النضرة .. والقلوب المنكسرة .. والأرواح اليقظة .. وجعلها بالنعيم مسفرة ضاحكة مستبشرة ..

" يوم لا يخزى الله النبى والذين امنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير "..

والحمد الله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

مصـــارحة قلب

أحباب قلبى ..

صارحوا أنفسكم بعد كل هذا .. وتفكروا في رحمة ربكم .. فمن الذي دعاه فما لباه ؟ ومن الذي انطرح على عتباته فمـــا أجـــاب دعواه ؟! ومن الذي سأله فما أعطاه ؟! ومن الذي لجأ إليه فما كفاه ؟! ..

يغني ويفقر ..يحيي ويميت .. يبتلي ويعافي .. يمرض ويشفي ..

مصـــارحة قلب

أما كفى **إبراهيم الخليل** وقد ألقي في النار فصيرها له بردًا وسلامًا .. أما نجى **نوحًا** من الطوفان يوم صارت الأرض كوكبًا فـــي بحر من الماء .. أما شق البحر **لموسى** ودمر عدوه وفجر له الصخر أما حمى الرسول (ص) ونجاه من الاغتيالات ونصره في الغزوات .. وآنس قلبه من الوحشة وثبت فؤاده في الهول وشد أزره في النازلات .. بالله عليكم يا أحباب اقرعوا بـــاب ربكـــم .. وتدبروا كتابه .. وصاحبوا أحبابه .. وسلوا أنفسكم " **أليس الله بكاف عبده** "

مصـــارحة قلب

أما آن لك يا مسكين أن تقلع عن هواك ؟! أما آن لك أن ترجع إلى باب مولاك ؟! أنسيت ما خولك وأعطاك ؟! أما خلقك فســـواك ؟! أما عطف عليك القلوب وبرزقه غذاك ؟! أما ألهمك إلى الإسلام وهداك ؟! أما قربك بفضله وأدناك ؟! أما بره فى طرفة عين يغشاك ؟! فقابلت ذلك بالغفلة وارتياد الشهوات والمبادرة بالخطايا والزلات ..

مصـــارحة قلب

نقضت عهده وعصيت أمره ودمت على الإصرار وأطعت هواك وخالفت الجبار .. أما آن لك أن تستحى ممـــن شـــاهدك علـــى المعصية ورآك ؟!.. ومع هذا الحرمان والبعد إن عدت إلي رحابه قبلك وارتضاك .. وإن لزمت طاعته قربك وأدناك ..

أنات عابد .. أعادت الروح ..

أحباب قلبى .. يا مساكين

ابسطوا الأيدي إلى المولى بالذل والضراعة والانكسار

ونادوا : يا من لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة نسألك أن تبدل منا الفساد بالصلاح والخسران بالأرباح وأن تعاملنا بالعفو والسماح ..

إلهي إن عيوبنا لا يسترها إلا محاسن عطفك وذنوبنا لا يغفرها إلا مكارم لطفك .. ادعوك إلهي مع خوفي لأنك رب الأرباب

وأرجوك مع تقصيري كرجاء الأحباب فإن قبلتني فبفضلك وإن رددتني فبعدلك ..

أيقظنا من غفلتنا وتجاوز عن جرائمنا وألحقنا بالذين أنعمت عليهم واجعلنا أهلا لمن يقال لهم

" **عبادى إنى راض عنكم .. فهل أنتم راضون عنى ؟** "..

وآخر سطر أردت أن أناجى فيه ربى فأقول له :

إلهي إذا دللت السالكين عليك فوصلوا بموعظتى إليك

أتراك تقبل المدلول وترد الدليل ؟!

إلهي إن لم يكن كلامى خالصا لوجهك

ففى أحبابى من قراءه من حضر خالصا لوجهك فشفعه فى تقصيرى ..

إلهى وحبيبى وسيدى ومولاى

تُـــرى .. هل تقبلنـــى ؟

شريف ٤..

Sherif4islam@hotmail.com

Sherif4islam@yahoo.com

****

المكتبـــــــــــــــــــة

* مكتبة القرآن وتفسيره :

* فى ظلال القـــرآن	سيد قطـــب
* تفسير القرآن العظيم	الإمام بن كثير
* تيسير الكريم الرحمن	الشيخ السعدى

* مكتبة الحديث وشروحه :

اللؤلؤ والمرجـــــــان	محمد عبد الباقى
شرح ريـــــاض الصالحيــن	النووى
فتح البارى	ابن حجر
مختصر صحيح مسلم	الألبانى
صحيح الجامع الصغير	الألبانى
السلســلة الصحيحـــة	الألبانى
الروضة الناضــــرة	عبد الفتاح القاضى
جامع العــلوم والحكم	ابن رجب الحنبلى
الأحــاديث القــدسية	دار التوزيع والنشر

* مكتبة الزهـــــــد والرقـــائق :

إغاثة اللهفان	ابن القيم
الفـــــــــوائـــد	ابن القيم
الــوابل الصــــيب	ابن القيم
الداء والـــــــــدواء	ابن القيم
عدة الصــــابـــرين	ابن القيم
مدارج السالكـــين	ابن القيم
التبصـــــــــــرة	ابن الجوزى
صــيد الخاطـــــر	ابن الجوزى
بحـــر الدمـــــوع	ابن الجوزى
المواعــظ والمجالس	ابن الجوزى
إحياء علــــوم الدين	أبو حامد الغزالى
مكاشـــــــفة القلوب	أبو حامد الغزالى
منهــــاج العـــــابدين	أبو حامد الغزالى
الرعـــاية لحقــوق الله	الحارث المحاسبى
تهذيب مدارج السالكين	محمد صالح
لطـــائف المعـــــارف	ابن رجب الحنبلى

أسباب المغفرة	ابن رجب الحنبلى
الذل والانكسار	ابن رجب الحنبلى
الــزهـــــــــــد	احمد بن حنبل
الزهـــد والرقائـــق	ابن المبارك
مختصر منهاج القاصدين	ابن قدامة المقدسى
التوابين	ابن قدامة المقدسى
الرســالة القشـــــيرية	الإمام القشيرى
تحفـــة الذاكـــــرين	الشوكانى
تنبيــــه الغـــــافـلين	السمرقندى
تنبيـــــه المغـــتريـــن	الشعرانى
الفتــــح الربـــانـــى	عبد القادر الجيلانى
نـــزهـــة المجـــالـــس	الصافورى الشافعى
الشكر	ابن أبى الدنيا
مواعـــظ الأنبيـــــاء	مجدى فتحى السيد
فقــــه السالكـــــين	جمال ماضى
واحـــات الإيمـــــان	عبد الحميد البلالى
أدب الدنيا والدين	الماوردى
فن الذكــــر والدعـــاء	محمد الغزالى
خواطر الفجــــــــــر	الحاج محمد أبو السعود
الكبــــــــــــــائر	الإمام الذهبى
التــــذكـــــــــــرة	الإمام القرطبى
الرقــــــــــــــائق	محمد احمد الراشد
ففروا إلى الله	أبو ذر القلمونى
لا تحـــــــــــــزن	عائض القرنى
تذكرة الدعاة	البهى الخولى
حطم صنمك	مجدى الهلالى
بين الربانية والمادية	مصطفى مشهور
صحيح وصايا الرســـول	سعد يوسف أبو عزيز
غايتنا .. اخطر قضية	عبد الحليم الكيلانى
علـــو الـــهمــــــــة	محمد اسماعيل المقدم
رســـــالة المناجـــــاة	حسن البنا
منهج التابعين فى تربية النفوس	عبد الحميد البلإلى

العبادة فى الاسلام	د. القرضاوى

* مكتبة الســـــير والتــراجـــــــــم :

سير أعلام النبلاء	الإمام الذهبى
الحســــــن البصــرى	د. السيد الجميلى
حياة الصحـــــــــابة	الكاندهلوى
صفـــة الصفـــــــوة	ابن الجوزى
مــــع العـــــارفيــن	محمد سعيد رمضان

* مكتبة اللغــــــة والأدب :

وحــــــــى القلـــم	مصطفى صادق الرافعى
العقـــد الفــــريد	ابــن عبـــد ربــــــه
نفحات ولفحات	القرضاوى

ملحوظة : هناك بعض المراجع مثبته فى الهوامش